فقه أولويات الهدى القرآني في ضوء أحوال النزول

إعداد

أ.د / محمد بن عبدالله الربيعة

فقه أولويات الهدى
في ضوء أحوال النزول

إعداد

أ.د محمد بن عبدالله الربيعة

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله .. أما بعد:

فإنّ من أعظم ما يعين على فهم كتاب الله تعالى: معرفة أحوال النزول التي تصور ملابسات النزول والأحداث وأحوال المخاطبين وبيئتهم؛ وذلك أنّ القرآن يتنزل لبيان الهدى في تلك الأحوال والأحداث.

وإذا كان أثر النزول في فهم القرآن ظاهرًا؛ فمن باب أولى أن يكون له أثر بالغ في استنباط الهدى منه.

ومن هنا أتى هذا البحث ليكشف عن أثر أحوال النزول في استنباط أولويات الهدى ضمن دراسة تأصيلية مفصلة قام بها مركز مكة العالمي للهدى القرآني. وقد قسمت هذا البحث إلى: تمهيد ومبحثين.

التمهيد، وفيه: مقدمات تعريفية لأحوال النزول.

المبحث الأول: أولويات الهدى القرآني في ضوء أحوال نزول السور المكية، وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: السور التي نزلت في أول المرحلة المكية وأولويات الهدى فيها.

المطلب الثاني: السور التي نزلت في وسط المرحلة المكية وأولويات الهدى فيها.

المطلب الثالث: السور التي نزلت في أواخر المرحلة المكية وأولويات الهدى فيها.

المطلب الرابع: المقاصد الكلية للمرحلة المكية وأولويات الهدى فيها .

المبحث الثاني: أولويات الهدى القرآني في ضوء أحوال نزول السور المدنية، وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: السور التي نزلت في أول المرحلة المدنية وأولويات الهدى فيها.

المطلب الثاني: السور التي نزلت في وسط المرحلة المدنية وأولويات الهدى فيها.

المطلب الثالث: السور التي نزلت في أواخر المرحلة المدنية وأولويات الهدى فيها.

المطلب الرابع: المقاصد الكلية للمرحلة المدنية وأولويات الهدى فيها .

المبحث الثالث : موجهات ومعايير الدراسة لأولويات الهدى القرآني في ضوء أحوال النزول.

المطلب الأول: موجهات دراسة أولويات الهدى في ضوء النزول

المطلب الثاني : موجهات التأثير في المؤسسات في ضوء أحوال النزول

التمهيد : مقدمات تعريفية لأحوال النزول.

أولاً تعريف أحوال النزول:

الأحوال لغة : جمع حال، وهذه المفردة تعود إلى جذرها وأصلها: "حَوَلَ"، الدالِّ على تحرُّك في دَوْر[١].

ويقال: حالات الدهر وأحواله، والمراد: صروفه وتقلباته[٢].

وبعبارة أخرى: بيان الهيئة التي يكون عليها صاحبها عند ملابسة الفعل له[٣].

الأحوال كما سبق بيانها: جمع حال، والحال في الاصطلاح تدل على معنيين مختلفين: معنى زماني، ومعنى نحوي.

فمدلول الحال في الزمان: الوقت الجامع بين طرفين: نهاية الماضي وبداية المستقبل، أي: الوقت الذي أنت فيه الآن.

ومدلولها في علم النحو: "ما يُبين هيئة الفاعل أو المفعول به"[٤].

وبعبارة أخرى: بيان الهيئة التي يكون عليها صاحبها عند ملابسة الفعل له[٥].

وتجمع الدراسة في هذا البحث كلا المعنيين؛ حيث يدرس البحث **حال** النبي ﷺ والصحابة والعرب والمخاطبين وهيئتهم وصفتهم وما كانوا عليه **حال** نزول القرآن عليهم.

فالحال الأولى: حالٌ بالمدلول النحوي، **والحال الثانية**: حالٌ بالمدلول الزماني.

والمقصود بأحوال نزول القرآن:

حال النبي ﷺ والصحابة والعرب والمخاطبين وهيئتهم وصفتهم وما كانوا عليه **حال** نزول القرآن عليهم.

---

١) "مقاييس اللغة" ٢/١٢١.

٢) "العين" ٣/٢٩٩.

٣) "الكليات" ص٣٧٥.

٤) "التعريفات" ص٨١.

٥) "الكليات" ص٣٧٥.

أو هي: كل ما يحيط بنزول النص القرآني من أسباب، أو ظروف المكان والزمان، أو حال المخاطبين، فتعطي اللفظ دلالته، وتوجِّهه باتجاه معين.

وهي على ما سبق: مجموعة العوامل والعناصر المحيطة بالنص من خارجه، والتي تعين على فهمه وتفسيره[١].

ثانياً : أنواع أحوال النزول.

أنواع أحوال النزول والتي يشملها التعريف السابق هي:

١- **أسباب النزول**: وهي: "كل قول أو فعل نزل بشأنه قرآن عند وقوعه"[٢].

وعلم أسباب النزول متصل بعلم التفسير اتصالًا وثيقًا، وأثره فيه واضح بيِّن؛ وذلك أنّ معرفة سبب النزول معين على فهم الآية، وإزالة الإشكال، من خلال دلالته على المعنى المراد منها، أو المعنى الداخل أولًا في حكمها[٣].

قال ابن دقيق العيد: "وبيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز"[٤].

وقال ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبَّب"[٥].

وقال الشاطبي: "معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن ... ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل ... فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد، ومعنى معرفة السبب: هو معنى معرفة مقتضى الحال، وينشأ عن هذا الوجه: الوجه الثاني: وهو أنّ الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة موردَ الإجمال حتى يقعَ الاختلاف، وذلك مظِنة وقوع النزاع... وهذا شأن أسباب النزول في التعريف بمعاني المنزَّل، بحيث لو فُقِدَ ذكرُ السبب؛ لم يعرف

---

١) أحوال التنزيل وأثرها الدلالي والمقاصدي قراءة في تأصيلات الأصوليين" ص٥.

٢) "المحرر في أسباب نزول القرآن" ١/١٠٥.

٣) قال السيوطي في "لباب النقول" ص٣، مبيّنا بعض فوائد معرفة أسباب النزول: "ومن فوائده: الوقوف على المعنى، أو إزالةالأشكال"، وقال د. مساعد الطيار في "المحرر في علوم القرآن" ص١٣٢: "إن سبب النزول يعين على معرفة المراد وتعيينه، إذ قد ترد عليه احتمالات صحيحة من حيث هي، لكن سبب النزول يحدد أحد هذه المعاني، ويكون هو المراد دون غيره"، وقال في "أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم" ص١٢٤: "يجب أن يُعلَم أن سبب النزول الصريح يعين على فهم معنى الآية، ويُبعِد المحتملات الواردة عليها، فهو مرجح أكيد عند ورود الاحتمال، والجهل به مدعاة للوقوع في الخطأ في التفسير".

٤) "إحكام الأحكام" ٢/٢٥٩.

٥) "مقدمة في أصول التفسير" ص١٦.

من المنزَّل معناه على الخصوص، دون تطرق الاحتمالات وتوجه الإشكالات"[١].

وقال الزركشي: "وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته؛ لجريانه مجرى التاريخ، وليس كذلك بل له فوائد ... منها: الوقوف على المعنى"[٢].

٢- **زمان النزول ومكانه:** والمراد بذلك: المكي والمدني، ومعرفتهما من الأهمية بمكان؛ إذ يترتب على ذلك أمور، منها: ظهور أسرار الخطاب، وبيان تدرج الشارع في الأحكام.

٣- **حال النبي ﷺ والمخاطبين:** وذلك بالنظر إلى حال النبي ﷺ والظروف التي كان يعيشها، وحال من نزلت عليهم الآيات، سواء كانوا من المؤمنين أو من كفار قريش أو من غيرهم[٣]، وما كانوا عليه، ولهذا فوائد، منها: بيان رحمة الله ﷻ بالأمة، ومعرفة عادات العرب، وحكمة التدرج في التشريع، كما "يبين حال المخاطب وواقعه الذي نزل القرآن ليعالجه، ومعلوم أن معرفة مقتضيات الأحوال المحيطة بالخطاب تبرز ما فيه من إعجاز"[٤].

ثالثاً : أهمية معرفة أحوال النزول:

تتبين أهمية المعرفة بأحوال النزول من خلال النقاط الآتية:

١- أنها قرينة موضحة ومبينة للنص القرآني، وركيزة من ركائز فهمه، وطريق من أهم الطرق للاستنباط منه، وبيان مقاصده وحِكمه، وأسرار ألفاظه، ودقائق معانيه.

٢- أن من أهم طرق التفسير: تفسير الصحابة، وقد تبوأ تفسيرهم هذه المكانة لِما كانوا عليه من مشاهدتهم التنزيل، ومعاصرتهم الوحي، ومعرفتهم بأحوال نزول القرآن وظروفه وملابساته.

فـ"أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم شاهدوا الوحي والتنزيل، ومواقع الخطاب، وشهدوا قرائن الأحوال، فلا يصدر القول منهم مع ورود الشرع بإحسان الظن بهم إلا وهو الحق"[٥].

---

١) "الموافقات" ٤/١٤٦، ١٥٢.

٢) "البرهان في علوم القرآن" ١/٢٢. .

٣) "أصول في التفسير" ص١٦.

٤) "القرآن الكريم والدراسات الأدبية" ص٨٥.

٥) "الاجتهاد" ص١٢٣.

قال الشاطبي منوّهًا بمنزلة كلام الصحابة في بيان القرآن والسنة، وأنّ من أسباب علو منزلتهم، وسمو مكانتهم في ذلك: مشاهدتهم لأحوال التنزيل وملابساته ومناسباته: "وأنهم شاهدوا من أسباب التكاليف وقرائن أحوالها ما لم يُشاهِده مَن بعدهم، ونَقْلُ قرائن الأحوال على ما هي عليه كالمعتذر، فلا بد من القول بأنّ فهمهم في الشريعة أتمُّ وأحرى بالتقديم، فإذا جاء في القرآن أو في السنة من بيانهم ما هو موضوع موضعَ التفسير، بحيث لو فرضنا عدمَه لم يمكن تنزيلُ النصِّ عليه على وجهه؛ انحتَم الحكمُ بإعمال ذلك البيان لما ذُكر"[١].

٣- نصُّ العلماء على أهمية معرفة أحوال التنزيل، وعظم أثرها في تفسير القرآن التفسير الصحيح، بل تخطئتهم لمن فسر القرآن مع جهله بملابسات النزول وظروفه.

قال عبد الله بن مسعودﷺ: "والذي لا إله إلا هو ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته"[٢]؛ فيلحظ من كلام ابن مسعود ﷺ: ارتكازه في تفسير القرآن على المعرفة بأحوال التنزيل، وأهمية ذلك عنده؛ إذ لو علم أحدًا أعلم منه بأحوال النزول لقطع الفيافي وجاب القفار للوصول إليه، وأخذ هذا العلم عنه.

وجاء عن إبراهيم التيمي أنه قال: "خلا عمر ذات يوم، فجعل يُحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد؟ فأرسل إلى ابن عباس، فقال: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد؛ وقبلتها واحدة؟ فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، إنا أُنزل علينا القرآن، فقرأناه، وعلمنا فيم نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن، ولا يدرون فيم نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا، قال: فانتهره عمر، فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال، فعرفه، فأرسل إليه، فقال: أعد علي ما قلت، فأعاده عليه، فعرف عمر قوله، وأعجبه"[٣].

ومن بعدهم يقول الشاطبي: "علمُ المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلًا عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حالِ الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطِب، أو المخاطَب، أو الجميع؛ إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالَين، وبحسب مخاطبَين، وبحسب غير ذلك، كالاستفهام، لفظه واحد، ويدخلُه معانٍ

---

١) "الموافقات" ٤/١٣٢.

٢) "البرهان في علوم القرآن" ٢/١٥٧ .

٣) "فضائل القرآن لأبي عبيد" ص١٠٢.

أخرُ من تقرير وتوبيخ، وغير ذلك، وكالأمر، يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز، وأشباهها، ولا يدل على معناها المراد إلا الأمورُ الخارجة، وعمدتها: مقتضيات الأحوال، وليس كل حال ينقل، ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة، فات فهم الكلام جملة، أو فهم شيء منه"[1].

١) "الموافقات" ٤/١٤٦.

المبحث الأول: فقه أولويات الهدى القرآني في ضوء أحوال نزول السور المكية.

المطلب الأول : السور التي نزلت في بداية البعثة

سورة العلق.

سنة النزول : في السنة الأولى .

قال الطبري: إن هذه أوّل سورة نزلت في القرآن على رسول الله ﷺ[1].

حال النزول : قال ابن عاشور : " وَنَزَلَ أَوَّلُهَا بِغَارِ حِرَاءٍ عَلَى النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُجَاوِرٌ فِيهِ فِي رَمَضَانَ لَيْلَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ مِنْهُ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعِينَ بَعْدَ الْفِيلِ إِلَى قَوْلِهِ: عَلَّمَ الْإِنْسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [العلق: ٥] . ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ عَنْ عَائِشَةَ[2].

مقصد السورة : بيان منزلة العلم في التعريف بالله والتقرب إليه .

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **ربط العلم بالله تعالى ومعرفته** .

سورة القلم.

سنة النزول : نزلت في السنة الأولى من البعثة .

قال ابن عاشور :" هذه السورة عدها جابر بن زيد ثانية السور نزولاً ، قال : نزلت بعد سورة اقرأ "[3].

قال مُحَمَّد دروزة: قد روي أن هذه الآيات هي التي أعقبت آيات سورة العلق الأولى[4].

حال النزول : نزلت في حال اتهام المشركين للنبي ﷺ بالجنون في بدء دعوته للتوحيد(٥).

مقصد السورة : الثناء على النبي بالخلق العظيم دفاعاً عنه وتسلية له .

---

[1] جامع البيان للطبري (٥١٩/٢٤)

[2] التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٣٣/٣٠)

[3] ا التحرير والتنوير ٥٨/٢٩.

[4] التفسير الحديث لمحمد دروزة(ص ٣٦٤)

(٥) ينظر: معارج التدبر١/ ٢٠٨، ٢٠٩، التفسير الحديث، دروزة١/ ٣٥٣، الموسوعة القرآنية خصائص السور، جعفر شرف الدين١٠/ ٩٥.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان أثر السيرة الحسنة والخلق العظيم في صدق النبي ﷺ** ، وهذا يؤكد أن حملة الهدى يجب أن يكونوا من أحسن الناس خلقاً ليكونوا موضع القبول والاقتداء .

سورة المزمل.

سنة النزول : السنة الأولى أو الثانية من البعثة ، قال ابن عاشور :" نزلت سورة المزمل بعد القلم فتكون ثالثة"[1].

حال النزول : قال السيوطي : " اجتمعت قريش في دار الندوة فقالت : سموا هذا الرجل اسماً يصدر عنه الناس ، قالوا : كاهن . قالوا : ليس بكاهن . قالوا : مجنون . قالوا : ليس بمجنون . قالوا : ساحر ، قالوا : ليس بساحر . فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه فتدثر فيها فأتاه جبريل فقال **{ يا أيها المزمل} {يا أيها المدثر}**[2].

مقصد السورة : الدعوة لقيام الليل تقوية وتثبيتاً للنبي ﷺ في مواجهة أذية المشركين واتهامهم ، وتوعداً للكافرين في اتهامه في بداية دعوته .

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **تهيئة النبي ﷺ بالزاد الإيماني لحمل الرسالة وتحمل أعبائها** . ومن هنا تأتي أهمية الإعداد الإيماني لحملة الرسالة .

سورة المدثر.

---

[1] التحرير والتنوير ٢٩/٢٥٤.

[2] لباب النقول للسيوطي (ص ٢٠٥)

سنة نزولها : نزلت في السنة الأولى أو الثانية من البعثة .

حال النزول : نزل أولها في حال عودة النبي ﷺ من غار حواء وقوله لخديجة " دثروني " أو في حال اتهام المشركين له في بداية دعوته .

قال السيوطي :أخرج الشيخان عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي فنوديت فلم أر أحدا فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء فرجعت فقلت دثروني فأنزل الله يا أيها المدثر قم فأنذر[1] .

مقصد السورة : الأمر بالقيام بالدعوة والإنذار تأكيداً وتأييداً للنبي ﷺ في مواجهة استهزاء المكذبين وإعراضهم وبيان جزائهم .

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **تهيئة النبي ﷺ بمقومات الدعوة** ، ومنه يؤخذ أهمية تأهيل حملة الرسالة بالمقومات الأساسية للدعوة .

سورة الفاتحة.

سنة النزول : نزلت في السنة الثانية بعد فرض الصلاة .

حال النزول : أورد الواحدي أثراً عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَانَ إِذَا بَرَزَ سَمِعَ مُنَادِيًا يُنَادِيهِ: "يَا مُحَمَّدُ، فَإِذَا سَمِعَ الصَّوْتَ انْطَلَقَ هَارِبًا، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: إِذَا سَمِعْتَ النِّدَاءَ فَاثْبُتْ حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ لَكَ: قَالَ: فَلَمَّا بَرَزَ النِّدَاءَ: "يَا مُحَمَّدُ"، فَقَالَ: لَبَّيْكَ، قَالَ: قُلْ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ: قُلْ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} حَتَّى فَرَغَ مِنْ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ" وَهَذَا قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ[2] . ولعل هذا النزول كان في مكة بعد فرض الصلاة ثم نزلت مرة أخرى في المدينة .

مقصد السورة : تحقيق العبودية لله.

---

[1] لباب النقول (١/٢٠٥)

[2] أسباب النزول للواحدي ص٥.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ابتداءً ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التركيز على التعريف بالله تعالى وبيان الطريق الموصل إليه** . ولهذا شرعت قراءة هذه السورة في الصلاة .

خلاصة مقاصد وأولويات الهدى في هذه المرحل :

بالنظر الدقيق في هذه السور نستطيع استخلاص مقاصد التنزيل وأولويات الهدى التي اهتم بها القرآن في هذه السور، وقد قسمتها إلى قسمين: قسم خاص بالنبي ﷺ؛ لعناية القرآن به خاصة لكونه المقصود الأول في الخطاب، ولكونه يحمل عبئًا كبيراً بهذه الرسالة ويواجه مجتمعاً مشركاً وسطوة كافية من قومه، ولكونه الأسوة لمن يحمل هذه الرسالة من بعده، وقسم عام للمخاطبين؛ لكون القرآن نزل هدى للناس أجمعين.

أولاً: ما يخص النبي ﷺ.

المقصد: تهيئة النبي ﷺ لحمل الرسالة.

وقد ظهر ذلك في سورة العلق والقلم والمدثر والمزمل؛ فسورة العلق أكدت تهيئته بالعلم، وسورة القلم أكدت تهيئته بالخُلُق، وسورة المزمل أكدت تهيئته بالعبادة، وسورة المدثر أكدت تهيئته بمقومات الدعوة.

أولوية الهدى: البدء بإعداد حملة الرسالة بالعلم والعبادة والخلق.

أكدت لنا هذه المرحلة ضرورة إعداد حملة الرسالة أولاً؛ ليكونوا مؤهلين بمقومات الدعوة والتبليغ، وأعظمها: العلم، والصدق، والإخلاص، والأخلاق الكريمة، والتطهر مما لا يليق، والصبر، والتحمل.

ثانياً: ما يتعلق بعامة الأمة.

المقصد الأول: التعريف بالله تعالى وإخلاص العبادة له.

ركزت السور الأولى من النزول بالتعريف بالله وربط الخلق به؛ فسورة العلق ابتدأت باسم الرب الخالق: ﴿ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ العلق: ١ ، ثم أكدت خلقه للإنسان في قوله: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ﴾ العلق: ٢

؛ ليكون أول ما يستقر في وعي الإنسان ويقينه معرفته بربه الذي خلقه وارتباطه به، كما أكدت سورة الفاتحة ذلك، وهي مرتكزة على معرفة الله وتحقيق العبودية له؛ ولذلك كانت أم القرآن، وشُرعتْ قراءتها في كل ركعة بما يقارب سبع عشرة مرة فرضاً كل يوم.

وفي سورة القلم ذكر النبي ﷺ بمنة الله تعالى ونعمته عليه بالوحي، وسورة المدثر أمر الله نبيه ﷺ بالتكبير له؛ ليحقق الإخلاص لربه، وليعظمه في دعوته فيورث في نفسه قوةً ويقينًا.

أولوية الهدى: التعريف بالله وتوحيده هو المنطلق الأول للتلقي والتعليم.

كشفت لنا السور التي نزلت في بداية النزول مع قلتها أنّ أولى الأولويات في التلقي والتعليم: التعريف بالله تعالى وبناء العلم والتعليم عليه. وهذه الركيزة لو بُني عليها العلم في الأمة؛ لأثمرت علومًا وفتوحًا تُبنى عليها حضارة الأمة ونهضتها وتمكنها في الأمم.

ومن هذه الركيزة تنطلق الأمة برسالتها للعالم في سبيل نشر هدى القرآن الذي هو أعظم كتاب في التعريف بالله وبصراطه المستقيم الموصل لصلاح الدنيا والآخرة.

المقصد الثاني: ارتباط العلم والتعليم بالله تعالى.

جاءت الآيات الأولى في تنزل الوحي بالأمر بالقراءة والتعليم مقروناً باسم الرب الخالق: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ العلق: ١، وهذا يؤكد بناء العلم على أساس الارتباط بالله تعالى ومعرفته وما يقرب إليه.

أولوية الهدى: بناء العلم والتعليم على أصل ارتباط الخلق بربهم.

ابتداء الوحي بالأمر بالقراءة مقروناً باسم الرب الخالق يؤكد أنّ العلم والتعلم لابد أن ينطلق باسم الرب وما يقرب إليه.

وهذه الركيزة لو بني عليها العلم في الأمة بجميع مجالاته لأثمرت علومًا وفتوحًا تُبنى عليها حضارة الأمة ونهضتها وتمكنها في الأمم.

ومن هذه الركيزة تنطلق الأمة برسالتها للعالم في سبيل نشر هدى القرآن الذي جعله الله هدى للناس أجمعين.

المطلب الثاني : السور التي نزلت في وسط المرحلة المكية (٤-١٠) للبعثة النبوية:

سورة المسد.

سنة النزول: قال ابن عاشور: روي أن نزولها كان في السنة الرابعة من البعثة[١].

حال النزول: أخرج البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} [المسد: ٢][٢].

مقصد السورة:

وعيد أبي لهب وزوجته في استكبارهم وأذيتهم لنبي ﷺ.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **دعوة الأقربين، وأن الهدى إبلاغ من حملة الرسالة، وهداية من رب العالمين.**

سورة التكوير

سنة النزول:

اختلف في ترتيبها، فذكر العلامة ابن عاشور رحمه الله أنها نزلت بعد الفاتحة فقال: "وَهِيَ مَعْدُودَةٌ السَّابِعَةَ فِي عِدَادِ نُزُولِ سُوَرِ الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْأَعْلَى"[٣].

وذهب آخرون إلى أنها نزلت بعد المسد، "نزلت بعد سورة المسد"[٤].

حال النزول:

---

[١] التحرير والتنوير(٣٠/٥٩٩)

[٢] صحيح البخاري ح(٤٧٧٠)

[٣] التحرير والتنوير (٣٠/ ١٣٩).

[٤] تيسير التفسير لإبراهيم القطان (٤/٥٥٥)، وينظر أيضا: الموسوعة القرآنية خصائص السور (١١/ ٨٧).

السورة الكريمة جاءت لدفع "نسبة الجنون إلى النّبي (ﷺ) من قبل المشركين ، وهذا ما كان يحدث كثيراً في مكّة، خصوصاً في بداية الدعوة المحمّدية، لتصور الأعداء أنّهم بافتراءاتهم تلك سيصرفون أنظار الناس عن النّبي (ﷺ) ودعوته الإلهية"[1].

مقصد السورة:

التذكير بمشاهد القيامة تأكيداً لصدق الوحي وتخويفاً للمكذبين به، ونصرة للنبي ﷺ

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التذكير بأهوال القيامة، وأثر ذلك في دعوة المعرضين أو المستهزئين.**

سورة الأعلى

سنة النزول:

"وَهِيَ مَكِّيَّةٌ. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدَانُ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرِئَانِنَا الْقُرْآنَ. ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ وَبِلَالٌ وَسَعْدٌ. ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ. ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ، حَتَّى رَأَيْتُ الْوَلَائِدَ وَالصِّبْيَانَ يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ قَدْ جَاءَ، فَمَا جَاءَ حَتَّى قَرَأْتُ: "سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى" فِي سُوَرٍ مِثْلِهَا"[2].

"وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي يَشْهَدُ لِكَوْنِهَا مَكِّيَّةً وَحَسْبُكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى [الْأَعْلَى: ٦]. وَهِيَ مَعْدُودَةٌ ثَامِنَةً فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ التَّكْوِيرِ وَقَبْلَ سُورَةِ اللَّيْلِ. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةَ وَالْحَسَنِ أَنَّهَا سَابِعَةٌ قَالُوا: أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ، ثُمَّ ن، ثُمَّ المزمل، ثمَّ المدثر، ثُمَّ تَبَّتْ، ثُمَّ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، ثُمَّ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ. وَأَمَّا جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ فَعَدَّ الْفَاتِحَةَ بَعْدَ الْمُدَّثِّرِ ثُمَّ عَدَّ الْبَقِيَّةَ فَهِيَ عِنْده ثامنة، فَهِيَ مِنْ أَوَائِلِ السُّورِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى يُنَادِي عَلَى ذَلِكَ"[3].

---

[1] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيرازي (١٩/ ٤٤١).

[2] تفسير ابن كثير، تح: سلامة (٨/ ٣٧٧)، وصحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة سبح اسم ربك الأعلى، ح رقم: (٤٩٤١).

[3] التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٧٢).

حال النزول: أسلوب السورة يلهم أنها بسبيل عرض عام للدعوة وأهدافها ومهمة النبي ﷺ. وليس فيها مواقف ومشاهد جدلية، ولعلها نزلت بعد الفاتحة. أو نزلت قبل نزول ما تضمن حكاية مواقف الكفار وأقوالهم والرد عليهم"[1].

مقصد السورة:

تذكير النفوس بمنة الله الأعلى وتعليقها بالحياة الأخرى، وتخليصها من التعلقات الدنيا، ويؤكده قوله {فذكر إن نفعت الذكرى}

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **السمو بالنفس البشرية من خلال التعرف على الله والتعلق بالآخرة .**

سورة الليل

سنة النزول:

"وَعُدَّتِ التَّاسِعَةَ فِي عِدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْأَعْلَى وَقَبْلَ سُورَةِ الْفَجْرِ"[2].

حال النزول:

"قَالَ الْقَفَّالُ رَحِمَهُ اللَّهُ: نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَإِنْفَاقِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَفِي أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَبُخْلِهِ وَكُفْرِهِ بِاللَّهِ، إِلَّا أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَكِنَّ مَعَانِيَهَا عَامَّةٌ لِلنَّاسِ"[3]

"وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنِّي لَأَقُولُ إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ فِي السَّمَاحَةِ وَالْبُخْلِ وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشى"[4].

مقصد السورة:

في هذه السورة يبرز بيان أحوال الخلق وتفاوتهم في الإيمان والإنفاق وحال كل فريق.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التحفيز إلى العطاء والبذل في سبل الخير ، والتحذير من البخل والاستغناء وعواقبه**[1].

---

[1] التفسير الحديث (١/ ٥١١).

[2] التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧٧)

[3] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣١/ ١٨١).

[4] فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٥٠)

سورة الفجر

سنة النزول:

"وَقَدْ عُدَّتِ الْعَاشِرَةَ فِي عِدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ. نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ اللَّيْلِ وَقَبْلَ سُورَةِ الضُّحَى"[٢].

حال النزول:

لم يرد في حال نزولها أثر يذكر، إلا أنه من خلال موضوعاتها يتضح أنها نزلت لتؤكد على أحقية الدين الإسلامي والبعث، وذلك بضرب أمثلة من الأمم المعاندة، وأخذ العبرة من القرون الماضية[٣].

مقصد السورة:

في هذه السورة يبرز فيها مشاهد العظمة والقدرة الإلهية في الكون وأحوال الإنسان تهديداً للمكذبين المغترين وتأنيساً للمؤمنين المطمئنين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التذكير بسنة الله في الأولين وعاقبتهم ، وبيان أحوال الآخرة ترهيباً وترغيباً** .

سورة الضحى

سنة النزول:

"وَعُدَّتْ هَذِهِ السُّورَةُ حَادِيَةَ عَشْرَةَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْفَجْرِ وَقَبْلَ سُورَةِ الِانْشِرَاحِ ... وَهِيَ أَوَّلُ سُورَةٍ فِي قصار المفصّل"[٤].

حال النزول:

تفريج غم رسول الله ﷺ، ودعمه ومساندته في دعوته

"وقد كان تأخر الوحي عن النبي ﷺ خمسة عشر يوما فقال ناس: إن مُحَمَّدا ودعه ربه وقلاه فأنزل الله هذه السورة"[٥].

---

[١] ينظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣١/ ١٨١)، حيث علق على هذا التقسيم قائلا: "فبان بهذا الحديث عموم هذه السورة".

[٢] التحرير والتنوير (٣٠/ ٣١١).

[٣] الموسوعة القرآنية خصائص السور (١١/ ٢٣٣).

[٤] التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٤).

[٥] الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (١١/ ٩٤)

"اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}.[1]

وَقِيلَ: إِنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي قَالَتْ ذَلِكَ أُمُّ جَمِيلٍ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ.

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: كَانَ سَبَبُ احْتِبَاسِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْهُ كَوْنُ جَرْوٍ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا نَزَلَ عَاتَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِبْطَائِهِ، فَقَالَ: إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ [أَوْ] صُورَةٌ.

وَاخْتَلَفُوا فِي مُدَّةِ احْتِبَاسِ الْوَحْيِ عَنْهُ، فَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: اثْنَا عَشَرَ يَوْمًا. وَقَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ: خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا.

قَالُوا: فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا وَدَعَهُ رَبُّهُ وَقَلَاهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ السُّورَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَا جِبْرِيلُ مَا جِئْتَ حَتَّى اشْتَقْتُ إِلَيْكَ"، فَقَالَ جِبْرِيلُ: "إِنِّي كُنْتُ أَشَدُّ شوقًا [إليك]، ولكني عَبْدٌ مَأْمُورٌ"، فَأَنْزَلَ: "وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ" (٢) (مَرْيَمَ -٦٤)[2].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها رعاية الله لنبيه والامتنان عليه بنعمة الوحي ودوامها له تذكيراً بشكرها، ورداً على المشركين المستهزئين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **كمال العناية الربانية بالنبي ﷺ في إنزال الوحي** . ومن يؤخذ عناية الله بحملة الرسالة ومبلغيها .

سورة الشرح

سنة النزول:

"وَقَدْ عُدَّتِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ فِي عِدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الضُّحَى بِالِاتِّفَاقِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْعَصْرِ"[3].

حال النزول:

سورة التذكير بنعم الله ووجوب شكرها[4].

---

[1] ينظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل، ح رقم: (٤٧٨٥).

[2] تفسير البغوي معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (ت: ٥١٠ هـ)، تح: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ٤، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، (٨/٤٥٠– ٤٥٤).

[3] التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٠٧)، وينظر أيضا: فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٦٢).

[4] تفسير المراغي (٣٠/ ١٨٨).

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها إتمام منة الله على نبيه بزوال الغم والحرج والعسر عنه، وما يوجب ذلك.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : كمال العناية الربانية بالنبي صلى الله آثار نعمة الله عليه ، ومنه نستخلص بأن الله تعالى يتم إنعامه على حملة الرسالة برفع شأنهم وتيسير أمورهم وزوال غمهم ببركة كتابه ، وهذا دافع لبذل حياتهم في تبليغ رسالة ربهم .

سورة العصر

سنة النزول:

"نزلت بعد الشرح"[1].

"وَقَدْ عُدَّتِ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ فِي عِدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الِانْشِرَاحِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْعَادِيَاتِ"[2].

حال النزول:

لم يظهر لي فيها حال نزول إنما هي سورة الوصية الجامعة ، " وقد روي عن الشافعي عليه الرحمة أنه قال: لو لم ينزل غير هذه السورة لكفت الناس لأنها شملت جميع علوم القرآن"[3]. ولذلك اتخذها أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِعَارًا لَهُمْ فِي مُلْتَقَاهُمْ[4].

مقصد السورة:

هذه السورة تبرز فيها حقيقة الربح والخسارة في الحياة، وأسباب النجاة.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان أنه لا فلاح ولا نجاح للإنسان إلّا بالإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق والصبر**[5].

سورة العاديات

---

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥١١).

[2] التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢٧).

[3] تفسير الألوسي = روح المعاني (١٥/ ٤٥٧).

[4] التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢٨).

[5] التفسير الحديث (١/ ٥٦١).

سنة النزول:

"نزلت بعد سورة العصر"[١].

"وَعُدَّتِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ عِنْدَ جَابِرِ بن زيد بِنَاء عَلَى أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْعَصْرِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْكَوْثَرِ"[٢].

حال النزول:

لم أقف فيها على حال نزول ، إنما جاءت في التحذير من جحود نعمة الله بالكفر .

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها تحذير الإنسان من الجحود وتذكيره بما سخره الله له من خير، وتخويفه من الآخرة.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **تذكير الإنسان بحكمة خلقه وواجب شكره وعاقبة أمره** .

سورة الكوثر

سنة النزول:

"نزلت بعد العاديات"[٣].

"عَدُّوهَا الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ فِي عِدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْعَادِيَاتِ وَقَبْلَ سُورَةِ التَّكَاثُرِ"[٤].

حال النزول:

جاء في صحيح مسلم: "عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ» فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر: ٢] ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

---

[١] الموسوعة القرآنية خصائص السور (١٢/ ١٠٩).

[٢] التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٩٧).

[٣] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥١٧).

[٤] التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٧٢).

آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُحْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ" زَادَ ابْنُ حُجْرٍ، فِي حَدِيثِهِ: بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ. وَقَالَ: «مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ»"[1].

وجاء أيضا في تفسير أبي حيان عن حال نزول السورة:

"وَنَزَلَتْ فِي الْعَاصِي بْنِ وَائِلٍ، كَانَ يُسَمِّي الرَّسُولَ ﷺ بِالْأَبْتَرِ، وَكَانَ يَقُولُ: دَعُوهُ إِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ أَبْتَرُ لَا عَقِبَ لَهُ، لَوْ هَلَكَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ وَاسْتَرَحْتُمْ مِنْهُ"[2].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها الامتنان على النبي ﷺ بالخير الكثير، والدفاع عنه ضد المستهزئين به.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان عظم منزلة النبي ﷺ عند ربه بإظهار إكرام الله له ودفاعه عنه ، الموجب على أمة الإسلام حماية جنابه وإظهار فضائله.**

سورة التكاثر

سنة النزول:

"نزلت بعد الكوثر"[3].

وقال ابن عاشور رحمه الله: "وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ مَعَانِي السُّورَةِ وَغِلْظَةِ وَعِيدِهَا أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ وَأَنَّ الْمُخَاطَبَ بِهَا فَرِيقٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِأَنَّ مَا ذُكِرَ فِيهَا لَا يَلِيقُ بِالْمُسْلِمِينَ أَيَّامَئِذٍ ...وَقَدْ عُدَّتِ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ، نزلت بَعْدَ سُورَةِ الْكَوْثَرِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْمَاعُونِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهَا مَكِّيَّة"[4].

حال النزول:

"وَسَبَبُ نُزُولِهَا أَنَّهُ فِيمَا رَوَى الْكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ: كَانَ بَيْنَ بَنِي سَهْمٍ وَبَيْنَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لِحَاءٌ، فَتَعَادُّوا الْأَشْرَافَ الْأَحْيَاءَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ، فَكَثَّرَهُمْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ. ثُمَّ تَعَادُّوا الْأَمْوَاتَ، فَكَثَّرَهُمْ بَنُو سَهْمٍ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ عَدَدًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ"[5].

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قَالَ البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، ح رقم: (٤٠٠).

[2] البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٥٥٥).

[3] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٠٩).

[4] التحرير والتنوير (٣٠/ ٥١٨).

[5] البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٥٣٥).

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها تذكير المتكاثرين في الدنيا بالموت والحساب.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التحذير من الانشغال بالدنيا والغفلة عن الآخرة..**

سورة الماعون

سنة النزول:

"نزلت بعد التكاثر"[1].

"وَعُدَّتِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ فِي عِدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ التَّكَاثُرِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْكَافِرُونَ"[2].

حال النزول:

"وقال ابن جريج: في أبي سفيان، وكان ينحر في كل أسبوع جزوراً، فطلب منه يتيم شيئاً فقرعه بعصاه، فأنزل الله هذه السورة.

قال ابن الخطيب: وقيل: إنه عام في كل مكذب بيوم الدين"[3].

مقصد السورة:

هذه السورة تبرز فيها صفات المكذبين بالدين والآخرة، تحذيراً للمؤمنين، وتشنيعاً على الكافرين والمنافقين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التحذير من أخلاق الكافرين المكذبين بالآخرة ، ومنها منع الخير عن الناس والمراءات بالأعمال . .**

سورة الكافرون

سنة النزول:

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥١٦).

[2] التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٦٣).

[3] اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٥١٢)

"وَقَدْ عُدَّتِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ فِي عداد نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْمَاعُونِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْفِيلِ"[1].

حال النزول:

"نَزَلَتْ فِي رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ: الْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ السَّهْمِيُّ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، [وَالْأَسْوَدُ] بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمَطْلَبِ بن أسد، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ [هَلُمَّ فَاتَّبِعْ] دِينَنَا وَنَتَّبِعُ دِينَكَ وَنُشْرِكُكَ فِي أَمْرِنَا كُلِّهِ، تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، فَإِنْ كَانَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ خَيْرًا كُنَّا قَدْ شَرَكْنَاكَ فِيهِ وَأَخَذْنَا حَظَّنَا مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي بِأَيْدِينَا خَيْرًا كُنْتَ قَدْ شَرَكْتَنَا فِي أَمْرِنَا وَأَخَذْتَ بِحَظِّكَ مِنْهُ، فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أُشْرِكَ بِهِ غَيْرَهُ، قَالُوا: فَاسْتَلِمْ بَعْضَ آلِهَتِنَا نُصَدِّقْكَ وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ، فَقَالَ: حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَأْتِي مِنْ عِنْدِ رَبِّي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ" إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الحرام وفيه الملاء مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَامَ عَلَى رُءُوسِهِمْ ثُمَّ قَرَأَهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى فَرَغَ مِنَ السُّورَةِ، فَأَيِسُوا مِنْهُ عِنْدَ ذَلِكَ وَآذَوْهُ وَأَصْحَابَهُ"[2].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها البراءة من الكفر وأهله، والتمايز التام بين الإسلام والشرك.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **الحسم في قضية العقيدة بلا مداهنة أو تنازل** .

سورة الفيل

سنة النزول:

"نزلت بعد الكافرون"[3].

"وَقَدْ عُدَّتِ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكافِرُونَ [الْكَافِرُونَ: ١] وَقَبْلَ سُورَةِ الْفَلَقِ"[4].

حال النزول:

---

[1] التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٠).

[2] تفسير البغوي – طيبة (٨/ ٥٦١).

[3] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥١٣).

[4] التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٤٣).

"نزلت هذه السورة منبهة على العبرة في قصة الفيل، التي وقعت في عام مولد رسول الله ﷺ، فإنها تدل على كرامة الله للكعبة، وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم، فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به، وفيها مع ذلك عجائب من قدرة الله وشدة عقابه"[1].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها الامتنان على أهل البيت الحرام بما أنعم عليهم من النعم، إلزاما لهم على عبودية الله تعالى وشكره.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان عظمة البيت وحمايته وأمنه وكرامته عند الله المستلزم على أهله استشعار نعمة الله عليهم وواجبهم في القيام بحق هذا البيت .**

سورة الفلق

سنة النزول:

"وَعُدَّتِ الْعِشْرِينَ فِي عِدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْفِيلِ وَقَبْلَ سُورَةِ النَّاسِ"[2].

حال النزول:

تعويذ النبي ﷺ وحفظه من المس والأذى

"عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُنْزِلَ، أَوْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ، الْمُعَوِّذَتَيْنِ»"[3].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها التحصن والاعتصام بالله من الشرور الظاهرة.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **تعليق القلوب بالله والتعوذ به في دفع الشرور .**

---

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥١٣).

[2] التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٢٤).

[3] صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين، ح رقم: (٨١٤).

سورة الناس

سنة النزول:

"وَعَلَى الصَّحِيحِ مِنْ أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ فَقَدْ عُدَّتِ الْحَادِيَةَ وَالْعِشْرِينَ مِنَ السُّوَرِ، نَزَلَتْ عَقِبَ سُورَةِ الْفَلَقِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ"[1].

حال النزول:

نزلت السورة تحصينا للنبي ﷺ من صنوف المس والأذى

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها الاعتصام والتحصن بالله من شر الشيطان ووسوسته، ومن الشرور الخفية.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **تعليق القلوب بالله في دفع وساوس الشيطان** .

سورة الإخلاص

سنة النزول:

"وَعَلَى الْأَصَحِّ مِنْ أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ عُدَّتِ السُّورَةَ الثَّانِيَةَ وَالْعِشْرِينَ فِي عِدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ النَّاسِ وَقَبْلَ سُورَةِ النَّجْمِ"[2].

حال النزول:

التأكيد على فردانية الله ووحدانية وعظمته

"عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، "أَنَّ الْمُشْرِكِينَ، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ} [الإخلاص: ٢]"[3].

---

[1] التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٣١).

[2] التحرير والتنوير (٣٠/ ٦١١).

[3] المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة الإخلاص، ح رقم: (٤٠٠٩)، وقد علق الإمام الحاكم على الحديث بقوله: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، (٢ / ٥٤٠).

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها تفرد الله بالكمال وتنزهه عن الولد والكفؤ الموجب لتحقيق الإخلاص له.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التعريف بالله تعالى، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به**[1].

سورة النجم

سنة النزول:

"وَهِيَ السُّورَةُ الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ فِي عَدِّ تَرْتِيبِ السُّوَرِ. نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ وَقَبْلَ سُورَةِ عَبَسَ"[2].

حال النزول:

"وَهَذِه السُّورَة أول سُورَة أعلنها النَّبِي وَقرأَهَا جَهرا عِنْد الْمُشْركين"[3].

"وسبب هذه السورة أن المشركين قالوا إن مُحَمَّدا يتقول القرآن ويختلق أقواله فنزلت السورة في ذلك"[4].

وفي صحيح البخاري: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَالجِنُّ وَالإِنْسُ»[5].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها بيان صدق الوحي إثباتاً لعقيدة التوحيد وسمو مصدرها، وتوهيناً لعقيدة الشرك وضعف أساسها.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان صدق القرآن وأنه وحي من الله ، إثباتاً لما تضمنه من التوحيد وبطلان الشرك.**

---

[1] ينظر: تفسير التستري (ص: ٢٠٩)، وجواهر القرآن (ص: ٧٨).

[2] التحرير والتنوير (٢٧/ ٨٨).

[3] تفسير السمعاني (٥/ ٢٨٣).

[4] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ١٩٥).

[5] صحيح البخاري، أبواب سجود القرآن، باب سجود المسلمين مع المشركين والمشرك نجس، ح رقم: (١٠٧١).

سورة عبس

سنة النزول:

"وَعُدَّتِ الرَّابِعَةَ وَالْعِشْرِينَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ. نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ (وَالنَّجْمِ) وَقَبْلَ سُورَةِ (الْقَدْرِ) ... وَهِيَ أُولَى السُّوَرِ مِنْ أَوَاسِطِ الْمُفَصَّلِ"[1].

حال النزول:

"سبب نزول صدر هذه السورة أن رسول الله ﷺ كان حريصا على إسلام قريش، وكان يدعو أشرافهم إلى الله تعالى ليسلموا فيسلم بإسلامهم غيرهم، فبينما هو مع رجل من عظمائهم قيل: هو الوليد بن المغيرة وقيل: عتبة بن ربيعة وقيل: أمية بن خلف، وقال ابن عباس: كانوا جماعة إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، وكرر ذلك وهو لا يعلم عنه بتشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطع الأعمى كلامه، فعبس وأعرض عنه.

وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله ﷺ. فنزلت الآية فكان رسول الله ﷺ إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم بعد ذلك يقول: مرحبا بمن عاتبني فيه ربي، ويبسط له رداءه"[2].

نزلت السورة

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها حقيقة دعوة القرآن وكرامته وعلو مقامه، ومن يستحق التزكي والانتفاع به، وحقارة من يستغني ويعرض عنه، ومآلهما في الآخرة.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان علو هذا القرآن وهدايته ، وأنه لا ينال هدايته إلا من أقبل عليه ورغب فيه ولو كان ضعيفاً .**

سورة القدر

سنة النزول:

[1] التحرير والتنوير (٣٠/ ١٠١).

[2] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٥٢).

"نزلت بعد عبس"[1].

"وَقَدْ عَدَّهَا جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ الْخَامِسَةَ وَالْعِشْرِينَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ عَبَسَ وَقَبْلَ سُورَةِ الشَّمْسِ"[2].

حال النزول:

"الحديث في هذه السورة عن تلك الليلة الموعودة المشهودة التي سجلها الوجود كله في فرح وغبطة وابتهال. ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلى. ليلة بدء نزول هذا القرآن على قلب مُحَمَّد ﷺ ليلة ذلك الحدث العظيم الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته، وفي دلالته، وفي آثاره في حياة البشرية جميعا. العظمة التي لا يحيط بها الإدراك البشري: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ} [القدر: ١، ٢]"

مقصد السورة:

هذه السورة بيان لعظمة ليلة القدر وفضلها وما اختصت به من نزول الوحي فيها. تعظيماً لأمر القرآن وشأنه.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان عظمة القرآن وأثره في فضل كل ما ارتبط به .**

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩٩).

[2] التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٥٥).

سورة الشمس

سنة النزول:

"نزلت بعد القدر"[١].

"وَعُدَّتِ السَّادِسَةَ وَالْعِشْرِينَ فِي عَدَدِ نُزُولِ السُّوَرِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْقَدْرِ، وَقَبْلَ سُورَةِ الْبُرُوجِ"[٢].

حال النزول:

نزلت ابتداءً في الحض على تزكية النفس والتحذير من تركها على هواها

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها عرض آيات الله وآلائه الواضحة بعثاً للنفوس على تزكيتها بالإيمان والشكران، وتجليتها من الجحود والكفران.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **الدعوة لتزكية النفوس بسلوك طريق الخير والابتعاد عن طريق الشر**[٣].

سورة البروج

سنة النزول:

"وَمَعْدُودَةٌ السَّابِعَةَ وَالْعِشْرِينَ فِي تَعْدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ «وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا» وَقبل سُورَة «التِّينِ»"[٤].

حال النزول:

نزلت في تسلية النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين من أذى الكفار، بضرب نماذج من القصص الأمم الماضية

يقول الإمام الرازي رحمه الله: "اعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ عَنْ إِيذَاءِ الْكُفَّارِ وَكَيْفِيَّةُ تِلْكَ التَّسْلِيَةِ هِيَ أَنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَ أَنَّ سَائِرَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ كَانُوا كَذَلِكَ مِثْلَ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَمِثْلَ فِرْعَوْنَ وَمِثْلَ ثَمُودَ، وَخَتَمَ ذَلِكَ بِأَنْ بَيَّنَ أَنَّ كُلَّ الْكُفَّارِ كَانُوا فِي التَّكْذِيبِ، ثُمَّ عَقَّبَ هَذَا الْوَجْهَ بِوَجْهٍ آخَرَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: وَاللَّهُ

---

[١] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٨٦).

[٢] التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٦٥).

[٣] التفسير الحديث (٢/ ١٣٨).

[٤] التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٣٦).

مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ [الْبُرُوجِ: ٢٠] ذَكَرَ وَجْهًا ثَالِثًا وَهُوَ أَنَّ هَذَا شَيْءٌ مُثْبَتٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مُمْتَنِعُ التَّغْيِيرِ وَهُوَ قَوْلُهُ: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ [لبروج: ٢١] فهذا ترتيب السورة"[١].

وذكر الإمام ابن عادل رحمه الله: "هذه السورة نزلت في تثبيت المؤمنين، وتصبيرهم على أذى المشركين، وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان حتى يقتدوا بهم، فيعلموا أنَّ كفارهم عند الله – تعالى – بمنزلة الأمم السابقة"[٢].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها إظهار قوة الله وإحاطته الشاملة، وتوعده للمتربصين بالمؤمنين بالعذاب الشديد، تحذيراً وموعظة للمكذبين المعاصرين، وتطميناً وتثبيتاً للمؤمنين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التذكير بسنن الله في الأولين للاعتبار**[٣].

سورة التين

سنة النزول:

"نزلت بعد البروج"[٤].

"وَعُدَّتِ الثَّامِنَةَ وَالْعِشْرِينَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْبُرُوجِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْإِيلَافِ"[٥].

حال النزول:

نزلت ابتداءً في بيان أن الدين موافق لفطرة الإنسان وحسن خلقه مع يسره وحسن عاقبته ، وأنه بدونه لاقيمة له.

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها بيان أن شرف الإنسان إنما يكتسبه بالدين، توبيخاً للمكذبين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

---

[١] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣١/ ١٠٦).

[٢] اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٢٤٨).

[٣] البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٤٢).

[٤] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩٤).

[٥] التحرير والتنوير (٣٠/ ٤١٩)

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان حاجة الإنسان لدين الله لموافقته فطرته وخلقه ولكونه يؤول به إلى شرفه وحسن عاقبته .**

سورة قريش

سنة النزول:

"نزلت بعد التين"[1].

"وَقَدْ عُدَّتِ التَّاسِعَةَ وَالْعِشْرِينَ فِي عِدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ التِّينِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْقَارِعَةِ"[2].

حال النزول:

التنويه بشأن قريش

فقد أخرج الإمام الحاكم في مستدركه "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «فَضَّلَ اللَّهُ قُرَيْشًا بِسَبْعِ خِلَالٍ؛ أَبِيِّ فِيهِمْ وَأَنَّ النُّبُوَّةَ فِيهِمْ، وَالْحِجَابَةَ فِيهِمْ، وَالسِّقَايَةَ فِيهِمْ، وَأَنَّ اللَّهَ نَصَرَهُمْ عَلَى الْفِيلِ، وَأَنَّهُمْ عَبَدُوا اللَّهَ عَشْرَ سِنِينَ لَا يَعْبُدُهُ غَيْرُهُمْ، وَأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِيهِمْ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ» ثُمَّ تَلَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش: ٢]"[3].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها الامتنان على أهل البيت الحرام بما أنعم عليهم إلزاما لهم على عبودية الله تعالى وشكره.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان أثر بيت الله في حماية أهله وألفتهم وحسن عيشهم الموجب لشكر نعمة ربهم بعبادته وتعظيم بيته .**

سورة القارعة

---

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥١٤).

[2] التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٥٣).

[3] المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة قريش، فضل قريش بسبع خلال، ح رقم: (٣٩٩٧)، وقد علق الإمام الحاكم على الحديث بقوله: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، (٢/ ٥٨٤).

سنة النزول:

"وَعُدَّتِ الثَّلَاثِينَ فِي عِدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ قُرَيْشٍ وَقَبْلَ سُورَةِ الْقِيَامَةِ"[1].

حال النزول:

نزلت ابتداءً في التذكير بأحوال القيامة وبيان حقيقة الموازين فيها .

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها قرع القلوب لاستحضار هول القيامة واختلاف الأحوال والموازين فيها.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **إِثْبَاتُ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ وَأَنَّ: الْأَعْمَال الصَّالِحَة معتبرة عن الله، والْأَعْمَال السَّيِّئَة لَا وَزْنَ لَهَا عِنْده سبحانه**[2].

سورة القيامة

سنة النزول:

حيث ذكر الإمام المراغي: "نزلت بعد سورة القارعة"[3].

وجاء في تفسير التحرير والتنوير: "وَعُدَّتِ الْحَادِيَةَ وَالثَّلَاثِينَ فِي عِدَادِ نُزُولِ سُوَرِ الْقُرْآنِ. نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْقَارِعَةِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْهُمَزَةِ"[4].

حال النزول:

نزلت في التعريف بيوم القيامة

وقد ذكر الإمام ابن عطية رحمه الله أنه: "روي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: من سأل عن القيامة أو أراد أن يعرف حقيقة وقوعها، فليقرأ هذه السورة"[5].

مقصد السورة:

---

[1] التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٠٩).

[2] ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٠٩).

[3] تفسير المراغي (٢٩/ ١٤٤).

[4] التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٣٦).

[5] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٠١).

هذه السورة يبرز فيها بيان قدرة الله على بعث الخلق وجمعهم، وفيها تطمين النبي ﷺ بجمع القرآن وكفايته بالبيان.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التذكير بيوم القيامة وقدرة الله على جمع الناس وحسابهم .**

سورة الهمزة

سنة النزول:

"وَعُدَّتِ الثَّانِيَةَ وَالثَّلَاثِينَ فِي عِدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْقِيَامَةِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْمُرْسَلَاتِ"[1].

حال النزول:

جاء في تفسير البحر المحيط: "ونزلت في الأحسن بْنِ شُرَيْقٍ، أَوِ الْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ، أَوْ جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرٍ، أَوِ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، أَوْ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، أَقْوَالٌ. وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ نَزَلَتْ فِي الْجَمِيعِ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ عَامَّةٌ فِيمَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ. وَقَالَ السُّهَيْلِيُّ: هُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ الْجُمَحِيُّ، كَانَ يَهْمِزُ النَّبِيَّ ﷺ، وَيُعَيِّنُهُ ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ"[2].

وجاء في تفسير اللباب أيضا، ما يوضح أحوال نزول السورة وهو أنه قد: "روى الضحاك عن ابن عبَّاس: أنها نزلت في الأخنس بن شريق، كان يلمز الناس، ويعيبهم مقبلين، ومدبرين.

وقال ابن جريج: نزلت في الوليد بن المغيرة، كان يغتاب النبي ﷺ من ورائه، ويقدح فيه في وجهه ... قال مجاهد: ليست بخاصة لأحد، بل لكل من كانت هذه صفته"[3].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها وعيد المستهزئين المستكبرين على أهل الإيمان.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التشنيع من أخلاق التكبر بالمال والإيذاء بالهمز واللمز**[4].

---

[1] التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٣٥).

[2] البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٥٤٠ - ٥٤١).

[3] اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٤٩٠).

[4] ينظر: التفسير الحديث (٢/ ٢٠٥).

سورة المرسلات

سنة النزول:

"نزلت بعد سورة الهمزة"[١].

"وَهِيَ السُّورَةُ الثَّالِثَةُ وَالثَلَاثُونَ فِي عِدَادِ تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ"[٢]

حال النزول:

نزلت ابتداءً في التهويل من يوم القيامة ومشاهدها

جاء في تفسير الإمام ابن عاشور رحمه الله: "اشْتَمَلَتْ عَلَى الِاسْتِدْلَالِ عَلَى وُقُوعِ الْبَعْثِ عَقِبَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَوَصْفُ بَعْضِ أَشْرَاطِ ذَلِكَ. وَالِاسْتِدْلَالُ عَلَى إِمْكَانِ إِعَادَةِ الْخَلْقِ بِمَا سَبَقَ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَخَلْقِ الْأَرْضِ.وَوَعِيدِ مُنْكِرِيهِ بِعَذَابِ الْآخِرَةِ وَوَصْفِ أَهْوَالِهِ. وَالتَّعْرِيضِ بِعَذَابٍ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا كَمَا اسْتُؤْصِلَتْ أُمَمٌ مُكَذِّبَةٌ مِنْ قَبْلُ. وَمُقَابَلَةِ ذَلِكَ بِجَزَاءِ الْكَرَامَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَإِعَادَةُ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالتَّصْدِيقِ بِالْقُرْآنِ لظُهُور دلائله"[٣].

وقد جاء في تفسير الإمام ابن عطية رحمه الله: "وقال ابن مسعود: نزلت هذه السورة ونحن مع رسول الله ﷺ بحراء"[٤]، وهي الفترة التي كثرت فيها تأكيدات القرآن على هذه القضية.

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها الويل والوعيد للمكذبين بالقيامة.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **الرد على المكذبين بيوم الدين**[٥].

سورة ق

---

[١] تفسير المراغي (٢٩/ ١٧٨).

[٢] التحرير والتنوير (٢٩/ ٤١٩).

[٣] التحرير والتنوير (٢٩/ ٤١٩).

[٤] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤١٦)، وينظر أيضا: صحيح البخاري، باب جزاء الصيد ونحوه، باب ما يقتل المحرم من الدواب، ح رقم: (١٨٣٠).

[٥] ينظر: التيسير في أحاديث التفسير (٦/ ٣٥٩).

سنة النزول:

"نزلت بعد المرسلات"[1].

وجاء في التحرير والتنوير: "وَهِيَ السُّورَةُ الرَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْمُرْسَلَاتِ وَقَبْلَ سُورَةِ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ [الْبَلَدِ: ١]"[2].

حال النزول:

نزلت في التذكير بالقضايا الإيمانية الكبرى

جاء في تفسير ابن كثير بعد أن استعرض الروايات التي تؤكد على أن رسول الله ﷺ كان يحرص على قراءة هذه السورة في الجمع والأعياد: "وَالْقَصْدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ بِهَذِهِ السُّورَةِ فِي الْمَجَامِعِ الْكِبَارِ، كَالْعِيدِ وَالْجُمَعِ، لِاشْتِمَالِهَا عَلَى ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَالْمَعَادِ وَالْقِيَامِ، وَالْحِسَابِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ"[3].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها وعظ القلوب بحقائق ومشاهد الموت والبعث والجزاء.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **الوعظ والتذكير بالمعاد والحساب، وتوابعها من الجنة والنار**[4].

سورة البلد

سنة النزول:

"وَقَدْ عُدَّتِ الْخَامِسَةَ وَالثَّلَاثِينَ فِي عَدَدِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ ق وَقَبْلَ سُورَةِ الطَّارِقِ"[5].

حال النزول:

---

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٠٠)، وتفسير المراغي (٢٦/ ١٥٠).

[2] التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٧٤).

[3] تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٣٩٣).

[4] ولذلك كان رسول الله ﷺ يستشهد بها في الخطب والمناسبات الجامعة.

[5] التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٤٥).

نزلت في بيان مايواجه الإنسان في حياته من الكبد ، وسبيل تجاوز صعوبات الحياة .

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها أن الإنسان في كبد الكفر والعذاب مالم يصعد لسلم الرحمة والإيمان.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان أن حياة الإنسان في هذه الدنيا مقرونة بالكبد والتعب؛ وأن عليه أن يطلب الراحة بأعمال الآخرة.**

سورة الطارق

سنة النزول:

جاء في المسند: "عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدٍ الْعَدْوَانِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ أَبْصَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَشْرِقِ ثَقِيفٍ، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى قَوْسٍ، أَوْ عَصًا حِينَ أَتَاهُمْ يَبْتَغِي عِنْدَهُمُ النَّصْرَ، قَالَ: "فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ: وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ حَتَّى خَتَمَهَا"، قَالَ: فَوَعَيْتُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا مُشْرِكٌ، ثُمَّ قَرَأْتُهَا فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَدَعَتْنِي ثَقِيفٌ فَقَالُوا: مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ؟ فَقَرَأْتُهَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ مَنْ مَعَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ: نَحْنُ أَعْلَمُ بِصَاحِبِنَا، لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ مَا يَقُولُ حَقًّا لَاتَّبَعْنَاهُ"[1].

فمن خلال هذه الرواية، يتضح لنا أن سورة الطارق نزلت قبل رحيل النبي ﷺ إلى الطائف.

وجاء في تفسير التحرير والتنوير: "وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ نَزَلَتْ قَبْلَ سَنَةِ عَشْرٍ مِنَ الْبَعْثَةِ". وساق رواية الإمام أحمد، ثم قال: "وَعَدَدُهَا فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّور السَّادِسَة وَالثَّلَاثِينَ. نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ «لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ» وَقَبْلَ سُورَةِ: «اقْتَرَبت السَّاعَة»"[2].

حال النزول:

نزلت في نصرة النبي ﷺ في دعوته ، ويؤكد هذا ما تضمنته من أغراض، أجملها ابن عاشور رحمه الله بقوله: "إِثْبَاتُ إِحْصَاءِ الْأَعْمَالِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ. وَإِثْبَاتُ إِمْكَانِ الْبَعْثِ بِنَقْضِ مَا أَحَالَهُ الْمُشْرِكُونَ بِبَيَانِ إِمْكَانِ إِعَادَةِ الْأَجْسَامِ. وَأُدْمِجَ فِي ذَلِكَ التَّذْكِيرُ بِدَقِيقِ صُنْعِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ. وَالتَّنْوِيهُ بِشَأْنِ الْقُرْآنِ. وَصِدْقُ مَا

[1] مسند أحمد بن حنبل، أول مسند الكوفيين ﷺ، حديث خالد العدواني ﷺ، ح رقم: (١٩٢٦١).

[2] التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٥٧).

ذُكِرَ فِيهِ مِنَ الْبَعْثِ لِأَنَّ إِخْبَارَ الْقُرْآنِ بِهِ لَمَّا اسْتَبْعَدُوهُ وَمَوَّهُوا عَلَى النَّاسِ بِأَنَّ مَا فِيهِ غَيْرُ صِدْقٍ. وَتَهْدِيدُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ ناوؤا الْمُسْلِمِينَ. وَتَثْبِيتُ النَّبِيءِ ﷺ وَوَعْدُهُ بِأَنَّ اللَّهَ مُنْتَصِرٌ لَهُ غير بعيد"[1].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها إظهار قدرة الله البالغة في خلق الإنسان ومراقبته وإعادته، تحذيراً للكافرين الكائدين وتأييداً للمؤمنين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان أدلة البعث والحساب تذكيراً وترهيباً** .

سورة القمر

سنة النزول:

قال ابن عاشور رحمه الله: "وَهِيَ السُّورَةُ السَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الطَّارِقِ وَقَبْلَ سُورَةِ ص ... وَكَانَ نُزُولُهَا فِي حُدُودِ سَنَةِ خَمْسٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ فَفِي «الصَّحِيحِ» «أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَكَّةَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهى وَأَمَرُّ [الْقَمَر: ٤٦]»[2]. وَكَانَتْ عُقِدَ عَلَيْهَا فِي شَوَّالٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، أَيْ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِمَكَّةَ، وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ كَانَ سَنَةَ خَمْسٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ بَيْنَ نُزُولِ آيَةِ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ [الْقَمَر: ٤٥] وَبَيْنَ بَدْرٍ سبع سِنِين"[3].

فهذا التفصيل من الإمام ابن عاشور رحمه الله يساعد في تحديد زمن نزول هذه السورة.

حال النزول:

نزلت تأييدا لرسالة النبي ﷺ بالاستجابة لما طالبه المشركون بشق القمر نظير تصديقهم وإسلامهم.

وقد جاء في تفسير زاد المسير لابن الجوزي: "قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت صادقاً فشُقَّ لنا القمر فرقتين، فقال لهم رسول الله ﷺ «إن فعلتُ تؤمنون؟» قالوا: نعم، فسأل رسولُ الله ﷺ ربَّه

---

[1] التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٥٧ – ٢٥٨).

[2] ينظر: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة اقتربت الساعة، باب قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر، ح رقم: (٤٨٧٦).

[3] التحرير والتنوير (٢٧/ ١٦٥ – ١٦٦).

أن يُعطيَه ما قالوا، فانشقَّ القمر فرقتين، ورسول الله ﷺ ينادي: «يا فلان يا فلان اشْهَدوا»، وذلك بمكة قبل الهجرة"[1].

وفي صحيح البخاري "عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: انْشَقَّ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةً فَوْقَ الجَبَلِ، وَفِرْقَةً دُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْهَدُوا»"[2].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها التذكير بنعمة تيسير القرآن وما فيه من الآيات والنذر.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان تيسير القرآن لمن أراد الانتفاع بهداياته.**

سورة ص

سنة النزول:

"نزلت بعد سورة القمر"[3].

وفي تفسير التحرير والتنوير: "وَهِيَ السُّورَةُ الثَّامِنَةُ وَالثَّلَاثُونَ فِي عداد نزُول السُّور نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَقَبْلَ سُورَةِ الْأَعْرَافِ ... رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ وجاءه النبيء ﷺ ... فَهَذَا نَصٌّ فِي أَنَّ نُزُولَهَا فِي آخِرِ حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ وَهَذَا الْمَرَضُ مَرَضُ مَوْتِهِ كَمَا فِي ابْنِ عَطِيَّةَ فَتَكُونُ هَذِهِ السُّورَةُ قَدْ نَزَلَتْ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ"[4].

حال النزول:

ورد في المستدرك: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْ قُرَيْشٌ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَ رَأْسِ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ ذَاكَ وَشَكَوْهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قَالَ: «يَا عَمُّ، إِنَّمَا أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً تَذِلُّ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَتُؤَدَّى إِلَيْهِمْ بِهَا جِزْيَةُ الْعَجَمِ» قَالَ: كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ؟

---

[1] زاد المسير في علم التفسير (٤/ ١٩٦).

[2] صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة اقتربت الساعة، باب وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا، ح رقم: (٤٨٦٤).

[3] تفسير المراغي (٢٣/ ٩٤).

[4] التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٠١ - ٢٠٢).

قَالَ: «كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ» قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قَالَ: فَقَالُوا: أَجَعَلُوا الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ؟ قَالَ: وَنَزَلَ فِيهِمْ {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} [ص: ١] حَتَّى بَلَغَ {إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ} [ص: ٧]"[١].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها الدعوة للأوبة للحق وذم المخاصمة بالباطل وعاقبتها السيئة.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **الدعوة لقبول الحق وترك المخاصمة فيه**[٢].

سورة الأعراف

سنة النزول:

ذكر العلامة ابن عاشور تحديدا لزمن نزول السورة انطلاقا من ترتيبها فقال: "وَهِيَ مَعْدُودَةٌ التَّاسِعَةُ وَالثَّلَاثِينَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ ص وَقَبْلَ سُورَةِ الْجِنِّ"[٣].

حال النزول:

نزلت في تأييد النبي ﷺ وتسليته في بيان سنة الصراع بين الحق والباطل وعاقبته ، وتهديد المشركين وتوبيخهم فيما اتبعوه من سبيل الشيطان .

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها بيان سنة الصراع بين الحق والباطل وعاقبتهما في الدارين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان سنة الصراع بين الحق والباطل ، وتجلي الحق وانتصاره في الآخرة .**

---

[١] المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة ص، شأن نزول سورة ص، ح رقم: (٣٦٣٨)، وقد علق الإمام الحاكم على الحديث بقوله: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ» (٢/ ٤٦٩).

[٢] التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٠٢).

[٣] التحرير والتنوير (٨-ب/ ٧).

سورة الجن

سنة النزول:

"نزلت بعد سورة الأعراف"[1].

وقال ابن عاشور رحمه الله: "وَيَظْهَرُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي حُدُودِ سَنَةِ عَشْرٍ مِنَ الْبَعْثَةِ. فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» و «جَامع التِّرْمِذِيِّ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ بِنَخْلَةَ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ وَأَنَّهُ اسْتَمَعَ فَرِيقٌ مِنَ الْجِنِّ إِلَى قِرَاءَتِهِ فَرَجَعُوا إِلَى طَائِفَتِهِمْ فَقَالُوا: إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً [الْجِنّ: ١] وَأَنْزَلَ الله على نبيه قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِ [الْجِنّ: ١].

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ نُزُولَ هَذِهِ السُّورَةِ كَانَ بَعْدَ سَفَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ يَطْلُبُ النُّصْرَةَ مِنْ ثَقِيفٍ، أَيْ وَذَلِكَ يَكُونُ فِي سَنَةِ عَشْرٍ بَعْدَ الْبَعْثَةِ وَسَنَةِ ثَلَاثٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ.

وَقَدْ عُدَّتِ السُّورَةُ الْأَرْبَعِينَ فِي نُزُولِ السُّوَرِ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَعْرَافِ وَقَبْلَ يس"[2].

حال النزول:

"قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ... قَالَ: لَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ، عَمَدَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ ... ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ انْصَرَفَ مِنَ الطَّائِفِ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ، حِينَ يَئِسَ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِنَخْلَةَ قَامَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَمَرَّ بِهِ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهُمْ- فِيمَا ذُكِرَ لِي- سَبْعَةُ نَفَرٍ مِنْ جِنِّ أَهْلِ نَصِيبِينَ، فَاسْتَمَعُوا لَهُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، قَدْ آمَنُوا وَأَجَابُوا إِلَى مَا سَمِعُوا. فَقَصَّ اللَّهُ خَبَرَهُمْ عَلَيْهِ ﷺ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} ... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى {وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأحقاف: ٢٩ - ٣١].

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا} [الجن: ١]، ... إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ مِنْ خَبَرِهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ"[3].

وبناء على هذه الرواية من ابن إسحاق، فإن قوله تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} [الأحقاف: ٢٩ - ٣١]، نزل قبل سورة الجن.

---

[1] تفسير المراغي (٢٩/ ٩٢).

[2] التحرير والتنوير (٢٩/ ٢١٦ - ٢١٧).

[3] سيرة ابن هشام ت السقا (١/٤١٩ - ٤٢٢).

كما أن الإمام ابن كثير رحمه الله يعلق على رواية ابن إسحاق قائلا: "وَهَذَا صَحِيحٌ، وَلَكِنَّ قَوْلَهُ: "إِنَّ الْجِنَّ كَانَ اسْتِمَاعُهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ". فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ الْجِنَّ كَانَ اسْتِمَاعُهُمْ فِي ابْتِدَاءِ الْإِيحَاءِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ الْمَذْكُورُ[1]، وَخُرُوجُهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى الطَّائِفِ كَانَ بَعْدَ مَوْتِ عَمِّهِ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ، كَمَا قَرَّرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ [وَاللَّهُ أَعْلَمُ]"[2].

ويمكن الجمع بين الروايتين بتعدد استماع الجن للقرآن من النبي ﷺ في بداية البعثة عندما منعت عنهم أخبار السماء، واستماعهم مرة ثانية بعد عودة النبي ﷺ من الطائف، فتكون الآيتان قد نزلتا متقاربتين زمانيا وتحكيان عن نفس الاستماع مع تباعد زمانيهما تسلية للنبي ﷺ مما كان قد وجده من أذى بليغ من مشركي الطائف.

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها الثناء على الجن بإيمانهم توبيخاً للمشركين على إعراضهم، وإبطالاً لشركهم في الجن.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان عظم أثر القرآن في سامعيه حتى الجن توبيخاً للإنس المعرضين** [3].

سورة يس

سنة النزول:

"وَهِيَ السُّورَةُ الْحَادِيَةُ وَالْأَرْبَعُونَ فِي تَرْتِيبِ النُّزُولِ فِي قَوْلِ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ الَّذِي اعْتَمَدَهُ الْجَعْبَرِيُّ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ قُلْ أُوحِيَ وَقَبْلَ سُورَةِ الْفُرْقَانِ"[4].

حال النزول:

نزلت ابتداءً في دلائل صدق الرسالة والبعث

---

[1] يقصد الحديث الذي رواه الإمام أحمد في السند عن ابن عباس رضي الله عنهما: "كَانَ الْجِنُّ يَسْمَعُونَ الْوَحْيَ فَيَسْتَمِعُونَ الْكَلِمَةَ فَيَزِيدُونَ فِيهَا عَشْرًا، فَيَكُونُ مَا سَمِعُوا حَقًّا، وَمَا زَادُوهُ بَاطِلًا، وَكَانَتِ النُّجُومُ لَا يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ أَحَدُهُمْ لَا يَأْتِي مَقْعَدَهُ إِلا رُمِيَ بِشِهَابٍ يُحْرِقُ مَا أَصَابَ، فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى إِبْلِيسَ، فَقَالَ: مَا هَذَا إِلا مِنْ أَمْرٍ قَدْ حَدَثَ فَبَثَّ جُنُودَهُ، فَإِذَا هُمْ بِالنَّبِيِّ ﷺ، يُصَلِّي بَيْنَ جَبَلَيْ نَخْلَةَ، فَأَتَوْهُ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هَذَا الْحَدَثُ الَّذِي حَدَثَ فِي الْأَرْضِ". مسند أحمد بن حنبل، مسند بني هاشم ﷺ، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، ح رقم" (٢٥٢١).

[2] تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٢٩٠).

[3] البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٢٩٢).

[4] التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٤٢).

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها إثبات صدق الرسالة والبعث ودلائلهما، وإقامة الحجة على المكذبين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **تأكيد صدق ما جاءت به الرسل من التوحيد وأدلة البعث والجزاء** ، ولذلك شرعت قراءتها عند الاحتضار .

سورة الفرقان

سنة النزول:

"نزلت بعد سورة يس"[1]

"وَهِيَ السُّورَةُ الثَّانِيَةُ وَالْأَرْبَعُونَ فِي تَرْتِيبِ النُّزُولِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ يس وَقَبْلَ سُورَةِ فاطر"[2]

حال النزول:

نزلت في الانتصار للقرآن الكريم بعد قولهم: إن القرآن افتراه مُحَمَّد، وإنه ليس من عند الله ، وذمهم للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه يمشي في الأسواق وأنه لو كان نبياً لأنزل معه ملك يصاحبه "[3].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها الانتصار للرسول ﷺ وللقرآن بعد تطاول المشركين عليه.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **الانتصار للقرآن وإبطال الشبه حوله ، وبيان أثره على أهله من عباد الرحمن .**

سورة فاطر

سنة النزول:

"نزلت بعد الفرقان"[4].

---

[1] تفسير المراغي (١٨/ ١٤٥).

[2] التحرير والتنوير (١٨/ ٣١٤).

[3] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١).

[4] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٧١).

وقال ابن عاشور رحمه الله: "وَهَذِهِ السُّورَةُ هِيَ الثَّالِثَةُ وَالْأَرْبَعُونَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ سُوَرِ الْقُرْآنِ. نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْفُرْقَانِ وَقَبْلَ سُورَةِ مَرْيَمَ"[1].

حال النزول:

نزلت في بيان عجيب صنع الله تعالى في خلقه ، قال الإمام القاسمي رحمه الله في محاسن التأويل: "سميت بذلك لما جاء فيها من خلق الملائكة، وجعلهم ذوي أجنحة متنوعة في العدد، الدالّ على عجيب صنعه تعالى وباهر قدرته"[2].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها إظهار عظمة الخالق في خلقه وبديع صنعنه، بعثاً على تعظيمه وخشيته والإيمان به وتذكر آلائه.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التذكير بآيات الله وقدرته وإبداع صنعه الباعث على الخضوع له** .

سورة مريم

سنة النزول:

قال الإمام مكي بن أبي طالب القيسي في تفسيره الهداية: "كان نزولها قبل أن يهاجر أصحاب النبي ﷺ إلى أرض الحبشة، لأنهم قرأوا صدرها على النجاشي بعد هجرتهم إلى أرض الحبشة"[3].

وقد جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله في حوار النجاشي مع جعفر بن أبي طالب رحمه الله: "فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا

[1] التحرير والتنوير (٢٢/ ٢٤٧).

[2] تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٨/ ١٥٨).

[3] الهداية الى بلوغ النهاية (٧/ ٤٤٨٧).

مِنْ كهيعص، قَالَتْ: فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ"[1].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله:

"وَهِيَ السُّورَةُ الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ فِي تَرْتِيبِ النُّزُولِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ فَاطِرٍ وَقَبْلَ سُورَةِ طه. وَكَانَ نُزُولُ سُورَةِ طه قَبْلَ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ كَمَا يُؤْخَذُ مِنْ قِصَّةِ إِسْلَامِهِ فَيَكُونُ نُزُولُ هَذِهِ السُّورَةِ أَثْنَاءَ سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنَ الْبَعْثَةِ مَعَ أَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ"[2].

حال النزول:

نزلت في بيان عناية الله الخاصة بأوليائه الموحدين وتوبيخ للمشركين المتخذين له ولداً [3].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها بيان حال الأنبياء الموحدين في تضرعهم لربهم وحاجتهم لرحمته، تشنيعاً على المعرضين والمشركين الذين قالوا اتخذ الرحمن ولدا من أنبيائه وعباده.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان عناية الله بأولياء الله الموحدين والتشنيع على المشركين .**

سورة طه

سنة النزول:

"نزلت قبل إسلام عمر ﷺ"[4]، ويؤيد هذا ما جاء في مستدرك الإمام الحاكم رحمه الله: "عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ لَقِيَ عُمَرَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: إِلَى أَيْنَ تَعَمَدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَ مُحَمَّدًا ... فَمَشَى عُمَرُ إِلَيْهِمْ ذَامِرًا حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْبَابِ قَالَ: وَكَانَ عِنْدَهُمَا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: خَبَّابٌ يُقْرِئُهُمَا سُورَةَ

[1] مسند أحمد بن حنبل، مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، حَدِيثُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ حَدِيثُ الْهِجْرَةِ، ح رقم: (١٧٦٤).

[2] التحرير والتنوير (١٦/ ٥٨).

[3] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٣١٧).

[4] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ١٦٣).

طَهْ، ... فَلَمَّا يَئِسَ عُمَرُ، قَالَ: أَعْطُونِي هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي عِنْدَكُمْ فَأَقْرَأَهُ، فَقَالَتْ أُخْتُهُ: إِنَّكَ رِجْسٌ وَلَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، قُمْ فَاغْتَسِلْ أَوْ تَوَضَّأْ "الْحَدِيثَ"[1].

وقال العلامة بن عاشور رحمه الله: "وَهَذِهِ السُّورَةُ هِيَ الْخَامِسَةُ وَالْأَرْبَعُونَ فِي تَرْتِيبِ النُّزُولِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ مَرْيَمَ وَقَبْلَ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ. وَنَزَلَتْ قَبْلَ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ... وَذَكَرَ الْفَخْرُ عَنْ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ. وَكَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْبِعْثَةِ قُبَيْلَ الْهِجْرَةِ الْأُولَى إِلَى الْحَبَشَةِ فَتَكُونُ هَذِهِ السُّورَةُ قَدْ نَزَلَتْ فِي سَنَةِ خَمْسٍ أَوْ أَوَاخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنَ الْبَعْثَةِ"[2].

حال النزول:

نزلت السورة لتثبت النبي ﷺ في دعوته، وأنه أرسل ليظهر بالقرآن لا ليشقى به.

قال الرازي عن هذه السورة: "أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَقْهُورًا تَحْتَ ذُلِّ أَعْدَائِهِ فَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَالَ لَهُ لَا تَظُنَّ أَنَّكَ تَبْقَى عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ أَبَدًا بَلْ يَعْلُو أَمْرُكَ وَيَظْهَرُ قَدْرُكَ فَإِنَّا مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ مِثْلَ هَذَا الْقُرْآنِ لِتَبْقَى شَقِيًّا فِيمَا بَيْنَهُمْ بَلْ تَصِيرُ مُعَظَّمًا مُكَرَّمًا"[3].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها بيان أن القرآن سبب السعادة لمن اتبع هداه، والشقاء لمن خالفه تثبيتاً للنبي ﷺ وتحذيراً للمكذبين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان عظمة القرآن وأثره في إسعاد أهله ، وأنهم به في عناية الله وحفظه .**

سورة الواقعة

سنة النزول:

"نزلت بعد طه"[4].

---

[1] المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ومن نساء قريش اللاتي روين عن رسول الله، ذكر فاطمة بنت الخطاب بن نفيل أخت عمر رضي الله عنهما، استقامة فاطمة على الإسلام، ح رقم: (٦٩٨٩).

[2] التحرير والتنوير (١٦/ ١٨٠- ١٨١).

[3] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٢/ ٧).

[4] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٣٣)، وينظر أيضا: تفسير المراغي (٢٧/ ١٣٠).

"وَهِيَ السُّورَةُ السَّادِسَةُ وَالْأَرْبَعُونَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ طه وَقَبْلَ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ"[1].

حال النزول:

قال ابن عاشور رحمه الله في السورة: "وَهَذِهِ السُّورَةُ جَامِعَةٌ لِلتَّذْكِيرِ قَالَ مَسْرُوقٌ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ نَبَأَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَنَبَأَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَنَبَأَ أَهْلِ النَّارِ وَنَبَأَ أَهْلِ الدُّنْيَا وَنَبَأَ أَهْلِ الْآخِرَةِ فَلْيَقْرَأْ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ»"[2].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها إثبات صدق القرآن في أمر القيامة وأصناف الناس فيها، تبشيراً للمؤمنين وإنذاراً للمكذبين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التذكير بالآخرة وأصناف الناس وأحوالهم فيها .**

سورة الشعراء

سنة النزول:

"نزلت بعد سورة الواقعة"[3].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَهِيَ السُّورَةُ السَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ فِي عِدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ وَقَبْلَ سُورَةِ النَّمْلِ. وَسَيَأْتِي فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [الشُّعَرَاء: ٢١٤] مَا يَقْتَضِي أَنَّ تِلْكَ الْآيَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ نُزُولِ سُورَةِ أَبِي لَهَبٍ وَتَعَرَّضْنَا لِإِمْكَانِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَقْوَالِ"[4].

ويذهب الإمام ابن عاشور رحمه الله في الجمع بين نزول قوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]، قبل سورة المسد، بأن هذه الآية نزلت مرتين: مرة مفردة، ومرة ثانية مع جملة سورة الشعراء، بعد أن نسخت منها بعض الكلمات، فيقول: "وَهَذَا الْحَدِيثُ يَقْتَضِي أَنَّ سُورَةَ الشُّعَرَاءِ نَزَلَتْ قَبْلَ سُورَةِ أَبِي لَهَبٍ مَعَ أَنَّ سُورَةَ أَبِي لَهَبٍ عُدَّتِ السَّادِسَةَ فِي عداد نزُول السُّورِ، وَسُورَةَ الشُّعَرَاءِ عُدَّتِ السَّابِعَةَ وَالْأَرْبَعِينَ. فَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ نَزَلَ

---

[1] التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٨٠).

[2] التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٨٠).

[3] تفسير المراغي (١٩/ ٤٤).

[4] التحرير والتنوير (١٩/ ٩٠).

قَبْلَ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ مُفْرَدًا، فَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: لَمَّا نَزَلَتْ «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ»[1] وَأَنَّ ذَلِكَ نُسِخَ. فَلَعَلَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ثُمَّ نُسِخَتْ تِلَاوَتُهَا ثُمَّ أُعِيدَ نُزُولُ بَعْضِهَا فِي جملَة بِسُورَة الشُّعَرَاءِ"[2].

حال النزول:

"نزلت هذه السورة بها، لتمييز الرسل عن الشعراء، لأن الشاعر، إن كان كاذبا فهو رئيس الغواة لا يتصور منه الهداية، وإن كان صادقا لا يتصور منه الافتراء على الله تعالى، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"[3].

وهذا يدل على أن السورة تنزلت لترد على من يحاول وصف القرآن بالشعر، أو يحاول هجو الرسول ﷺ، وفي هذا يقول ابن عاشور رحمه الله: "كَانَ شُعَرَاءُ بِمَكَّةَ يَهْجُونَ النَّبِيءَ ﷺ مِنْهُمُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالْعَوْرَاءُ بِنْتُ حَرْبٍ زَوْجُ أَبِي لَهَبٍ وَنَحْوُهُمَا، وَهُمُ الْمُرَادُ بِآيَاتِ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ. وَكَانَ شُعَرَاءُ الْمَدِينَةِ قَدْ أَسْلَمُوا قَبْلَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَ فِي مَكَّةَ شُعَرَاءُ مُسْلِمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى الْحَبَشَةِ[4].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها الانتصار للرسول ﷺ وللقرآن بعد تطاول شعراء المشركين عليه.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **في ذم الأصوات الناعقة ووسائلهم المفترية على النبي ﷺ وما جاء به من دين الله** . ومنه يؤخذ ذم وسائل الإعلام المفترية على الإسلام.

سورة القصص

سنة النزول:

"نزلت بعد النمل"[5].

---

[1] ينظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تَعَالَى وأنذر عشيرتك الأقربين، ح رقم: (٢٠٨).

[2] التحرير والتنوير (١٩/ ٢٠٢)

[3] تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٧/ ٤٤٧).

[4] التحرير والتنوير (١٩/ ٨٩).

[5] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٩)، وأيضا: تفسير المراغي (٢٠/ ٣٠).

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَهِيَ السُّورَةُ التَّاسِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ فِي عِدَادِ نُزُولِ سُوَرِ الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ النَّمْلِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ"[1].

ويؤكد المفسرون على أن في هذه السورة آية نزلت في رحلة هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، فيقول الإمام السمعاني رحمه الله في تفسيره: "وَفِي هَذِه السُّورَة آيَة لَيست بمكية وَلَا مَدَنِيَّة، وَهِي قَوْله تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص: ٨٥] نزلت هَذِه الْآيَة بَين مَكَّة وَالْمَدينَة، وَرَسُول الله بِالْجُحْفَةِ، وَهُوَ منزل من الْمنَازل، وَذَلِكَ حِين هَاجر النَّبِي من مَكَّة إِلَى الْمَدِينَة"[2].

حال النزول:

نزلت في فترة من فترات اشتداد أذى قريش على ضعفاء المسلمين، مواساة لهم ووعدا بالتمكين المستقبلي لهم.

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها إظهار قدرة الله وسنته بنصرة المستضعفين وإهلاك المستكبرين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان سنة الله تعالى في نصرة المستضعفين وإهلاك المستكبرين المتعالين في الأرض** .

سورة الإسراء

سنة النزول:

"نَزَلَتْ بعد القصص"[3].

وقال ابن عاشور رحمه الله وهو يحلل ما اكتنف زمن نزول السورة من أحداث: "وَيَظْهَرُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي زمن كثرت فِيهِ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ بِمَكَّةَ، وَأَخَذَ التَّشْرِيعُ الْمُتَعَلِّقُ بِمُعَامَلَاتِ جَمَاعَتِهِمْ يَتَطَرَّقُ إِلَى نُفُوسِهِمْ ...

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي وَقْتِ الْإِسْرَاءِ. وَالْأَصَحُّ أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِنَحْوِ سَنَةٍ وَخَمْسَةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا كَانَتْ قَدْ نَزَلَتْ عَقِبَ وُقُوعِ الْإِسْرَاء بالنبيء ﷺ تَكُونُ قَدْ نَزَلَتْ فِي حُدُودِ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ بَعْدَ الْبَعْثَةِ، وَهِيَ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ فِي مُنْتَصَفِ السَّنَةِ.

---

[1] التحرير والتنوير (٢٠/ ٦١).

[2] تفسير السمعاني (٤/ ١٢٠).

[3] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٠/ ٢٩١)، وأيضا: تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٤٠).

وَلَيْسَ افْتِتَاحُهَا بِذِكْرِ الْإِسْرَاءِ مُقْتَضِيًا أَنَّهَا نَزَلَتْ عَقِبَ وُقُوعِ الْإِسْرَاءِ. بَلْ يَجُوزُ أَنَّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ الْإِسْرَاءِ بِمُدَّةٍ ... نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بَعْدَ سُورَةِ الْقَصَصِ وَقَبْلَ سُورَةِ يُونُسَ. وَعُدَّتِ السُّورَةُ الْخَمْسِينَ فِي تَعْدَادِ نُزُولِ سُورَةِ الْقُرْآنِ"[1].

حال النزول:

نزلت بعد رحلة الإسراء

قال أبو حيان "سَبَبُ نُزُولِ سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ ذِكْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِقُرَيْشٍ الْإِسْرَاءَ بِهِ وَتَكْذِيبُهُمْ لَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ تَصْدِيقًا لَهُ"[2].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها علو مقام النبي ﷺ وكمال رسالته وحسن عاقبته تثبيتاً وانتصاراً له، وتوعداً للمكذبين به بعد قصة الإسراء.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان كمال الرسالة المحمدية وحسن عاقبة أهلها** .

سورة يونس

سنة النزول:

"نَزَلَتْ بَعْدَ الْإِسْرَاءِ"[3].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله محددا ترتيب نزول السورة وزمنها: "وَهِيَ السُّورَةُ الْحَادِيَةُ وَالْخَمْسُونَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ. نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَبْلَ سُورَةِ هُودٍ. وَأَحْسَبُ أَنَّهَا نَزَلَتْ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ بَعْدَ الْبِعْثَةِ لِمَا سَيَأْتِي[4] عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آياتِنا [يُونُس: ٢١]"[1].

---

[1] التحرير والتنوير (١٥/ ٦ – ٧).

[2] البحر المحيط في التفسير (٧/ ٧).

[3] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧/ ١٨٣)، وتفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٣٥٢)، وتفسير المنار (١١/ ١١٦).

[4] حيث يقول الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْآيَةَ تُشِيرُ إِلَى مَا أَصَابَ قُرَيْشًا مِنَ الْقَحْطِ سَبْعَ سِنِينَ بِدُعَاءِ النَّبِيءِ ﷺ ثُمَّ كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمُ الْقَحْطَ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَطَرَ، فَلَمَّا حَيُوا طَفِقُوا يَطْعَنُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ وَيُعَادُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيَكِيدُونَ لَهُ. وَالْقَحْطُ الَّذِي أَصَابَ قُرَيْشًا هُوَ الْمَذْكُورُ فِي سُورَةِ الدُّخَانِ. وَقَدْ أُنْذِرُوا فِيهَا بِالْبَطْشَةِ الْكُبْرَى. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ بَطْشَةُ يَوْمِ بَدْرٍ. فَتَكُونُ هَذِهِ الْآيَةُ قَدْ نَزَلَتْ بَعْدَ انْقِرَاضِ السَّبْعِ السِّنِينَ الَّتِي هِيَ كَسِنِيِّ يُوسُفَ وَبَعْدَ أَنْ حَيُوا، فَتَكُونُ قَدْ نَزَلَتْ بَعْدَ سَنَةِ عَشْرٍ مِنَ الْبَعْثَةِ أَوْ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ"، ينظر: التحرير والتنوير (١١/ ١٣٢).

حال النزول:

تأكيد نبوة الرسول ﷺ

فقد ورد في سبب نزول السورة: "وَسَبَبُ نُزُولِهَا: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَالُوا: لَمْ يَجِدِ اللَّهُ رَسُولًا إِلَّا يَتِيمَ أَبِي طَالِبٍ فَنَزَلَتْ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: عَجِبَتْ قُرَيْشٌ أَنْ يُبْعَثَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَنَزَلَتْ"[٢].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها إثبات الوحي والنبوة بالأدلة، ودعوة المكذبين للإيمان ترغيبا وترهيباً.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **تأكيد صدق الوحي والدعوة للإيمان به والتحذير من عاقبة التكذيب.**

سورة هود

سنة النزول:

"نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ يونس"[٣].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله: "نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بَعْدَ سُورَةِ يُونُسَ وَقَبْلَ سُورَةِ يُوسُفَ. وَقَدْ عُدَّتِ الثَّانِيَةَ وَالْخَمْسِينَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ"[٤].

حال النزول:

نزلت في حال اشتداد أذى المشركين على النبي ﷺ بعد موت أبي طالب .

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها التأكيد على النبي ﷺ بالثبات على دعوته والتغليظ على المكذبين المعاندين له.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

---

[١] التحرير والتنوير (١١/ ٧٨).

[٢] البحر المحيط في التفسير (٦/ ٨).

[٣] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧/ ٣١٢)، وتفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٣٦٥)، وتفسير المنار (١٢/ ٣)، وتفسير المراغي (١١/ ١٦٧).

[٤] التحرير والتنوير (١١/ ٣١٢).

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بين سنة الله في الأمم المهلكة تحذيراً للمكذبين وتسلية للمؤمنين**

سورة يوسف

سنة النزول:

"نزلت بعد سورة هود"[1].

هذه السورة مكية، نزلت بعد سورة هود، في تلك الفترة الحرجة التي تحدثنا عنها في تقديم سورة يونس وفي تقديم سورة هود . . بين عام الحزن بموت أبي طالب وخديجة سندي رسول الله ﷺ وبين بيعة العقبة الأولى ثم الثانية التي جعل الله فيهما لرسول الله ﷺ وللعصبة المسلمة معه وللدعوة الإسلامية فرجا ومخرجا بالهجرة إلى المدينة . . وعلى هذا فالسورة واحدة من السور التي نزلت في تلك الفترة الحرجة في تاريخ الدعوة وفي حياة الرسول ﷺ والعصبة المسلمة معه في مكة.

وقال ابن عاشور رحمه الله: "نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ هُودٍ، وَقَبْلَ سُورَةِ الْحِجْرِ. وَهِيَ السُّورَةُ الثَّالِثَةُ وَالْخَمْسُونَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ"[2].

حال النزول:

تسلية النبي ﷺ مما يلاقيه من قومه من الأذى والمحاربة، وخاصة بعد عام الحزن

قال الإمام ابن عطية رحمه الله، يستعرض أسباب نزول هذه السورة الكريمة، التي تعكس أحوال نزولها أيضا: "سبب نزولها تسلية رسول الله ﷺ عما يفعله به قومه بما فعل إخوة يوسف بيوسف"[3].

وفي تفسير الإمام القاسمي: "والمقصود تسلية النبيّ ﷺ بما لاقاه من أذى القريب والبعيد"[4].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها تثبيت النبي ﷺ بالوعد بالتمكين بعد الابتلاء المبين، تذكيراً بحال نبي الله يوسف وتمكينه بعد شدة ابتلائه.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

---

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٣٨١).

[2] التحرير والتنوير (١٢/ ١٩٧).

[3] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٢١٨)، والبحر المحيط في التفسير (٦/ ٢٣٤).

[4] تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٦/ ١٤٤).

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التذكير بلطف الله في ابتلاء أوليائه قبل تمكينهم تسلية للنبي ﷺ والمؤمنين** .

سورة الحجر

سنة النزول:

"نزلت بعد سورة يوسف"[1].

وقال ابن عاشور رحمه الله: "وَعَلَى تَصْحِيحِ أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ فَقَدْ عُدَّتِ الرَّابِعَةَ وَالْخَمْسِينَ فِي عَدَدِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ يُوسُفَ وَقَبْلَ سُورَةِ الْأَنْعَامِ.

وَمِنَ الْعَجِيبِ اخْتِلَافُهُمْ فِي وَقْتِ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى آيَةِ {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} [الحجر: ٩٤][2] وَقَدْ نَزَلَتْ عِنْدَ خُرُوجِ النَّبِيءِ ﷺ مِنْ دَارِ الْأَرْقَمِ فِي آخِرِ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ بَعْثَتِهِ"[3].

حال النزول:

نزلت هذه السورة بعد سورة يوسف، في الفترة الحرجة، التي اشتد فيها أذى المشركين بعد وفاة أبي طالب ... فجاء القرآن الكريم في هذه الفترة يهدد المشركين المكذبين ويتوعدهم؛ ويعرض عليهم مصارع المكذبين الغابرين ومصائرهم؛ ويكشف للرسول ﷺ عن علة تكذيبهم وعنادهم؛ عنادهم الذي لا تجدي معه الآيات البينات.

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها توعد المستكبرين المستهزئين بالقرآن، انتصاراً للقرآن وتأييداً للنبي ﷺ وتأكيداً عليه الإنذار به.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

---

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤١٥).

[2] وفي هذه الآية بالذات يقول الإمام ابن عاشور رحمه الله: "نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ أَوِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْبَعْثَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مُخْتَفٍ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ. رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: مَا زَالَ النَّبِيءُ ﷺ مُسْتَخْفِيًا حَتَّى نَزَلَتْ: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} [الحجر: ٩٤] فَخَرَجَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ. يَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ كَانَ يَدْعُو النَّاسَ خُفْيَةً وَكَانَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النَّاسِ إِذَا أَرَادَ الصَّلَاةَ يَذْهَبُ إِلَى بَعْضِ الشِّعَابِ يَسْتَخْفِي بِصَلَاتِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَحِقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ يَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ وَيَعِيبُونَ صَلَاتَهُمْ، فَحَدَثَ تَضَارُبٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَدْمَى فِيهِ سَعْدٌ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَبَعْدَ تِلْكَ الْوَقْعَةِ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ دَارَ الْأَرْقَمِ عِنْدَ الصَّفَا فَكَانُوا يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ بِهَا وَاسْتَمَرُّوا كَذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ أَوْ تَزِيدُ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} [الحجر: ٩٤] الْآيَةَ. وَبِنُزُولِهَا تَرَكَ الرَّسُولُ ﷺ الِاخْتِفَاءَ بِدَارِ الْأَرْقَمِ وَأَعْلَنَ بِالدَّعْوَةِ لِلْإِسْلَامِ جَهْرًا" ينظر: التحرير والتنوير (١٤/ ٨٨).

[3] التحرير والتنوير (١٤/ ٦).

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان حقيقة المكذبين بهذا الدين ودوافعهم الأصيلة للتكذيب، وبيان سوء عاقبتهم ، والأمر بالصدع بالحق دون مبالاة بمواقفهم.**

سورة الأنعام:

سنة النزول: نزلت بعد سورة الحجر

حال النزول: إنكال المشركين على النبي ﷺ فيما أحل وحرم من الأنعام ، فنزلت في التشنيع عليهم في شركهم وما أحلوا وحرموا .

مقصد السورة: تقرير عقيدة التوحيد من خلال محاجة المشركين بالأدلة والبراهين، ونقض اعتقاداتهم الشركية الباطلة.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **إبطال عقيدة الشرك وإظهار دلائل التوحيد.**

سورة الصافات

سنة النزول:

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: "نزلت بعد الأنعام"[1].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ وَهِيَ السَّادِسَةُ وَالْخَمْسُونَ فِي تَعْدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَقَبْلَ سُورَةِ لُقْمَانَ"[2].

حال النزول:

نزلت في إبطال اعتقاد المشركين في الملائكة وأنهم بنات الله.

مقصد السورة:

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٨٨)، وتفسير المراغي (٢٣/ ٤١).

[2] التحرير والتنوير (٢٣/ ٨١).

هذه السورة يبرز فيها تنزيه الله عما نسبه إليه المشركون بأن الملائكة بنات الله؛ والتذكير بسير الأنبياء المخلصين لله وعاقبة قومهم المكذبين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **إبطال الأوهام الجاهلية والمزاعم الشركية .**

سورة لقمان

سنة النزول:

"نزلت بعد الصافات"[1].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَهَذِهِ السُّورَةُ هِيَ السَّابِعَةُ وَالْخَمْسُونَ فِي تَعْدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الصَّافَّاتِ وَقَبْلَ سُورَةِ سَبَإٍ"[2].

حال النزول:

جاء في تفسير البحر المحيط: "وَسَبَبُ نُزُولِهَا أَنَّ قُرَيْشًا سَأَلَتْ عَنْ قِصَّةِ لُقْمَانَ مَعَ ابْنِهِ، وَعَنْ بِرِّ وَالِدَيْهِ، فَنَزَلَتْ"[3].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها الأمر باتباع الحكمة وهي ما أمر الله به.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان حكمة القرآن وما جاء به دعوة لاتباعه .**

سورة سبأ

سنة النزول:

"نزلت بعد لقمان"[1].

---

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٣٧)، وتفسير المراغي (٢١/ ٧١).

[2] التحرير والتنوير (٢١/ ١٣٨).

[3] البحر المحيط في التفسير (٨/ ٤٠٨).

وقل الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَهِيَ السُّورَةُ الثَّامِنَةُ وَالْخَمْسُونَ فِي عِدَادِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ لُقْمَانَ وَقَبْلَ سُورَةِ الزُّمَرِ كَمَا فِي الْمَرْوِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ الْجَعْبَرِيُّ كَمَا فِي «الْإِتْقَانِ»"[٢].

حال النزول:

نزلت في التذكير بسنة الله في جزاء الشاكين والكافرين بنعمة الله

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها بيان أحوال الخلق مع النعم وسنة الله في تغييرها.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التذكير بنعم الله وبيان جزاء الشاكرين والكافرين بها** .

سورة الزمر

سنة النزول:

"نزلت بعد سبإ"[٣].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله، متحدثا عن مكية السورة، رادا على ما ذكره المفسرون من احتمالية نزول بعض الآيات في الدينة: "وَالْمُتَّجَهُ: أَنَّهَا كُلَّهَا مَكِّيَّةٌ وَأَنَّ مَا يُخَيَّلُ أَنَّهُ نَزَلَ فِي قَصَصٍ مُعَيَّنَةٍ إِنْ صَحَّتْ أَسَانِيدُهُ أَنْ يَكُونَ وَقَعَ التَّمَثُّلُ بِهِ فِي تِلْكَ الْقَصَصِ فَاشْتَبَهَ عَلَى بَعْضِ الرُّوَاةِ بِأَنَّهُ سَبَبُ نُزُولٍ"[٤].

وقال أيضا في تحديد مدة نزولها: "وَسَيَأْتِي عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَأَرْضُ اللَّهِ واسِعَةٌ [الزمر: ١٠] أَنَّهَا نَزَلَتْ قُبَيْلَ هِجْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْحَبَشَةِ، أَيْ فِي سَنَةِ خَمْسٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ[٥]. وَهِيَ السُّورَةُ التَّاسِعَةُ وَالْخَمْسُونَ فِي تَرْتِيبِ النُّزُولِ عَلَى الْمُخْتَارِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ سَبَأٍ وَقَبْلَ سُورَةِ غَافِرٍ"[١].

---

[١] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٦١)، وتفسير المراغي (٢٢/ ٥٥).

[٢] التحرير والتنوير (٢٢/ ١٣٣).

[٣] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢١٥)، وتفسير المراغي (٢٣/ ١٤١).

[٤] التحرير والتنوير (٢٣/ ٣١٢).

[٥] حيث يقول الإمام ابن عاشور رحمه الله في تحديد زمن نزول هذه الآية الكريمة: "وَالْمُرَادُ: الْإِيمَاءُ إِلَى الْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ} [الزمر: ١٠] يُرِيدُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ إِلَى الْحَبَشَةِ ...

حال النزول:

نزلت في بقضية التوحيد وجزاء أهله ، والتحذير من الشرك وعاقبة أهله .

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها الدعوة للتوحيد والإخلاص ونبذ الشرك.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **الدعوة لإخلاص الدين لله ونبذ الشرك وبيان جزاء الفريقين** .

خلاصة مقاصد وأولويات الهدى في السور التي نزلت في وسط المرحلة المكية :

بالنظر الدقيق في حركة النزول في هذه القترة التي نزلت فيها هذه السور نستطيع استخلاص مقاصد التنزيل وأولويات الهدى التي عنى بها القرآن في هذه الفترة مقسمة على قسمين:

أولاً: ما يخص النبي ﷺ:

المقصد الأول : الجهر بالرسالة، ودعوة الأقربين.

كانت الدعوة الأولى دعوة سرية في سنواتها الثلاث لإعداد الصفوة الأولى، ثم لما كثر عدد الداخلين أمر الله نبيه بالجهر بالدعوة وإنذار عشيرته؛ فكان ذلك انتقالاً من مرحلة إلى مرحلة.

أولوية الهدى: تمكين الدعاة من أدوات التأثير، وترتيب الأولويات في الدعوة.

مما يستفاد من تأخر الأمر بالجهر بالدعوة أن أي داعية يحتاج قبل انطلاقه التهيئة والتمكن بالأدوات والممكنات المادية والبشرية والعلمية والعملية، كما يظهر من هذا التدرج

وَالْهِجْرَةُ إِلَى الْحَبَشَةِ كَانَتْ سَنَةَ خَمْسٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ وَأَنَّ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَمْنَعُ ابْنَ أَخِيهِ مِنْ أَضْرَارِ الْمُشْرِكِينَ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَمْنَعَ أَصْحَابَهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ»، فَخَرَجَ مُعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ فَخَرَجَ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا وَتِسْعَ عَشْرَةَ امْرَأَةً سِوَى أَبْنَائِهِمُ الَّذِينَ خَرَجُوا بِهِمْ صِغَارًا. وَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ فَأَذِنَ لَهُ فَخَرَجَ قَاصِدًا بِلَادَ الْحَبَشَةِ فَلَقِيَهُ ابْنُ الدِّغِنَّةِ فَصَدَّهُ وَجَعَلَهُ فِي جِوَارِهِ. وَلِمَا تَعَلَّقَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِنَشْرِ الْإِسْلَامِ فِي مَكَّةَ بَيْنَ الْعَرَبِ لِحِكْمَةٍ اقْتَضَتْ ذَلِكَ وَعُذِرَ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا لَقُوهُ مِنَ الْأَذَى فِي دِينِهِمْ أَذِنَ لَهُمْ بِالْهِجْرَةِ وَكَانَتْ حِكْمَتُهُ مُقْتَضِيَةً بَقَاءَ رَسُولِهِ ﷺ بَيْنَ ظَهْرَانِيِّ الْمُشْرِكِينَ لِبَثِّ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَأْذَنْ لَهُ بِالْهِجْرَةِ إِلَى مَوْطِنٍ آخَرَ حَتَّى إِذَا تَمَّ مُرَادُ اللَّهِ مِنْ تَوَشُّجِ نَوَاةِ الدِّينِ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ الَّتِي نَشَأَ فِيهَا رَسُولُهُ ﷺ، وَأَصْبَحَ انْتِقَالُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ أَسْعَدَ بِانْتِشَارِ الْإِسْلَامِ فِي الْأَرْضِ أَذِنَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ هَيَّأَ لَهُ بِلُطْفِهِ دُخُولَ أَهْلِهَا فِي الْإِسْلَامِ وَكُلُّ ذَلِكَ جَرَى بِقَدَرٍ وَحِكْمَةٍ ولطف بِرَسُولِهِ ﷺ"، ينظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٥٥- ٣٥٦).

[1] التحرير والتنوير (٢٣/ ٣١٢).

ترتيب الأولويات حيث جاء الأمر في هذه المرحلة بإنذار العشيرة والأقربين، وهو تدرج مهم في تكوين المجتمع الأول للدعوة.

المقصد الثاني : تثبيت النبي ﷺ ببيان كمال رسالته وحسن عاقبته.

بالتأمل في الأحوال والظروف التي واكبت نزول السور خلال هذه الفترة نجد أنها ركزت على تثبيت النبي ﷺ فيما يواجهه من تكذيب قومه؛ ببيان كونه يتلقى القرآن وحياً من ربه وتيسيراً منه كما تجليه سورة النجم والقمر، وتذكيره بنعمة القرآن كما تصوره سورة النمل، وتعظيم شأنه بما أنزل الله عليه من الفرقان كما تصوره سورة الفرقان، وبياناً لكمال رسالته بالقرآن كما تصوره سورة طه.

أولوية الهدى: تعظيم مكانة حملة رسالة القرآن وكمال رسالتهم وحسن عاقبتهم بها.

من أعظم ما يحتاجه حملة رسالة القرآن تذكيرهم بما أكرمهم الله به من الشرف والقدر، ويقينهم بحسن حالهم وعاقبتهم بها، مما يدفعهم للثبات واستمرار العطاء، فإذا كان رسول الله ﷺ احتاج إلى التثبيت والتذكير بنعمة الله عليه بالقرآن فكيف بغيره؟

ثانياً: فيما يخص الأمة:

المقصد الأول : بيان أدلة التوحيد وإبطال عقيدة الشرك ومحاجة المشركين .

بالتأمل في الأحوال والظروف التي واكبت نزول السور خلال هذه الفترة نجد أنها ركزت على تفصيل أمر العقيدة بالأدلة ومحاجة المشركين وإبطال شبههم وشركهم .

أولوية الهدى: عرض دلائل العقيدة بالوسائل والمكتشفات الحديثة.

من أهم ما يحتاجه العالم اليوم في ظل العولمة والشبهات المثارة حول الإسلام: عرض دلائل التوحيد بالوسائل المعاصرة والمكتشفات الحديثة مما يظهر دلائل التوحيد بالمشاهدة، وهو من أقوى الأدلة كما فعله إبراهيم مع قومه.

المقصد الثاني : التذكير بالآخرة والجزاء تبشيراً للمؤمنين وإنذاراً للكافرين.

ظهر لنا من خلال السور التي نزلت هذه الفترة مركزية الآخرة والتذكير بها، وكأنها مرحلة تبعت مرحلة تقرير التوحيد وتفصيل أدلته في المرحلتين السابقتين.

وقد جاءت سور خاصة بهذا المقصد، كسورة ق والقيامة والمرسلات والقارعة والهمزة.

أولوية الهدى: العناية بمجالس بالوعظ والتذكير في وسائل التأثير.

من أهم ما تحتاجه الأمة لتمسيكها بدين الله هو دوام تذكيرها بأمر الآخرة وجزائها؛ ومن هنا تأتي أهمية إقامة مجالس الوعظ والتذكير في وسائل التأثير كالمنابر والقنوات والإذاعات، وهو جانب نلحظ الغفلة عنه وعدم العناية به في هذا الزمن، كيف وقد عنى به القرآن منذ أول نزوله في الفترة المكية.

المطلب الثالث : السور التي نزلت في آخر المرحلة المكية (١١-١٣) قبل الهجرة النبوية الشريفة:

بالتأمل في السور التي نزلت في ختام المرحلة المكية يظهر فيها الانتصار للقرآن والتهديد الشديد للمكذبين به ، وتهيئة المؤمنين للهجرة . ومن السور التي نزلت هذه الفترة :

سور الحواميم

سور الحواميم نزلت متتابعة في فترة واحدة في السنة الحادية عشرة، وكأن نزولها إعلان بالانتصار للقرآن، وتوعد للمكذبين به؛ ولذلك جاء في آخر سورة الأحقاف: { فهل يهلك إلا القوم الفاسقون} [آية:٣٥].

سورة غافر

سنة النزول:

"نزلت بعد الزمر"[١].

ويقول الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَهَذِهِ السُّورَةُ جُعِلَتِ السِّتِّينَ فِي عِدَادِ تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الزُّمَرِ وَقَبْلَ سُورَةِ فُصِّلَتْ وَهِيَ أَوَّلُ سُوَرِ (آلِ حم) نُزُولًا. وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مَقْرُوءَةً عَقِبَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ، أَيْ سَنَةَ ثَلَاثٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ لِمَا سَيَأْتِي أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَرَأَ آيَةَ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ [غَافِر: ٢٨][٢] حِينَ آذَى نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، وَإِنَّمَا اشْتَدَّ أَذَى قُرَيْشٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ"[٣].

حال النزول:

نزلت هذه السورة ثم الحواميم بعدها، عقب اشتداد الإيذاء على النبي ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب.

مقصد السورة:

---

[١] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٢٧)، وتفسير المراغي (٢٤/ ٤١).

[٢] حيث قال الإمام ابن عاشور رحمه الله في تفسير هذه الآية، دون تحديد صريح ومحدد لزمن نزولها: "وَقَدْ شَابَهَ مَقَامُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ مَقَامَ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ إِذْ آمَنَ بِالنَّبِيءِ ﷺ حِينَ سَمِعَ دَعْوَتَهُ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ آلِهِ، وَيَوْمَ جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى النَّبِيءِ ﷺ (وَالنَّبِيءُ ﷺ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ) يَخْنُقُهُ بِثَوْبِهِ فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ عَقَبَةِ وَدَفَعَهُ وَقَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: «وَاللَّهِ لَيَوْمُ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ، إِنَّ مُؤْمِنَ آلِ فِرْعَوْنَ رَجُلٌ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُظْهِرُ إِيمَانَهُ وَبَذَلَ مَالَهُ وَدَمَهُ». وَأَقُولُ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَقْوَى يَقِينًا مِنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ لِأَنَّ مُؤْمِنَ آلِ فِرْعَوْنَ كَتَمَ إِيمَانَهُ وَأَبُو بَكْرٍ أَظْهَرَ إِيمَانَهُ"، ينظر: التحرير والتنوير (٢٤/ ١٣٠).

[٣] التحرير والتنوير (٢٤/ ٧٦).

هذه السورة يبرز فيها دعوة المجادلين في آيات الله للرجوع للحق وتخويفهم من العقاب.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **الدعوة بأسلوب الحوار ترغيباً وترهيباً** ، وقد جاءت قصة مؤمن آل فرعون نموذج لذلك ، ولهذا تسمى السورة بسورة (المؤمن)

سورة فصلت

سنة النزول:

"نزلت بعد غافر"[1].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ غَافِرٍ وَقبل سُورَةِ الزُّخْرُفِ، وَعُدَّتِ الْحَادِيَةَ وَالسِتِّينَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ"[2].

حال النزول:

مفاوضات قريش للنبي ﷺ

جاء في تفسير المحرر الوجيز في سبب نزول مطلع السورة: "ويروى أن عتبة بن ربيعة ذهب إلى رسول الله ﷺ ليبين عليه أمر مخالفته لقومه وليحتج عليه فيما بينه وبينه وليبعد ما جاء به، فلما تكلم عتبة، قرأ رسول الله ﷺ: حم ومر في صدر هذه السورة حتى انتهى إلى قوله: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ [فصلت: ١٣] فأرعد الشيخ وقفّ شعره وأمسك على فم رسول الله ﷺ بيده وناشده بالرحم أن يمسك، وقال حين فارقه: والله لقد سمعت شيئا ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، ولقد ظننت أن صاعقة العذاب على رأسي"[3].

وفي تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني: "عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «اجتمعت قُرَيْشٌ يَوْمًا فَقَالُوا: انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسِّحْرِ وَالْكِهَانَةِ وَالشِّعْرِ فَلْيَأْتِ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا وَشَتَّتَ أَمْرَنَا وَعَابَ دِينَنَا، فَلْيُكَلِّمْهُ وَلْيَنْظُرْ مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ؟ فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُ أَحَدًا غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يَا أَبَا الْوَلِيدِ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللَّهِ، أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْكَ فَقَدْ عَبَدُوا الْآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَ، وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلَّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ، أَمَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً قَطُّ أَشْأَمَ عَلَى قَوْمِكَ مِنْكَ،

---

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٣٧)، وتفسير المراغي (٢٤/ ١٠٢).

[2] التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٢٨).

[3] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣)، وينظر أيضا: المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، ما أحسن محسن من مسلم ولا كافر إلا أثابه الله، ح رقم: (٣٠٢٠).

فَرَّقْتَ جَمَاعَتَنَا وَشَتَّتَّ أَمْرَنَا وَعِبْتَ دِينَنَا وَفَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ، حَتَّى لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِرًا وَأَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِنًا، وَاللَّهِ ما ننتظر إِلَّا مِثْلَ صَيْحَةِ الْحُبْلَى أَنْ يَقُومَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ، يَا رَجُلُ إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْحَاجَةُ جَمَعْنَا لَكَ حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى قُرَيْشٍ رَجُلًا، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاءَةُ فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ شِئْتَ فَلَنُزَوِّجَنَّكَ عَشْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَرَغْتَ؟ قَالَ نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ» حَتَّى بَلَغَ «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صاعقة عاد وثمود» فَقَالَ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ حَسْبُكَ مَا عِنْدَكَ غَيْرَ هَذَا؟ قَالَ لَا، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالُوا مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَى أَنَّكُمْ تُكَلِّمُونَهُ بِهِ إِلَّا كَلَّمْتُهُ، فَقَالُوا: فَهَلْ أَجَابَكَ قَالَ: وَالَّذِي نَصَبَهَا بِنْيَةً مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ أَنَّهُ أَنْذَرَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ، قَالُوا: وَيْلَكَ يُكَلِّمُكَ الرَّجُلُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَمَا تَدْرِي مَا قَالَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ»[1].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها تحذير المعرضين عن آيات الله وتخويفهم بالعقاب في الدنيا والآخرة.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان بأن القرآن الكريم نَزَلَ بشيرًا لِمَنِ اتَّبَعَهُ، وَنَذِيرًا لِمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ.**

سورة الشورى.

سنة النزول:

"نزلت بعد فصلت"[2].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَإِذَا صَحَّ أَنَّ آيَةَ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا [الشورى: ٢٨] نَزَلَتْ فِي انْحِبَاسِ الْمَطَرِ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَمَا قَالَ مُقَاتِلٌ تَكُونُ السُّورَةُ نَزَلَتْ فِي حُدُودِ سَنَةِ ثَمَانٍ بَعْدَ الْبَعْثَةِ، وَلَعَلَّ نُزُولَهَا اسْتَمَرَّ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ بَعْدَ أَنْ آمَنَ نُقَبَاءُ الْأَنْصَارِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ فَقَدْ قِيلَ: إِنَّ قَوْلَهُ: وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ [الشورى: ٣٨] أُرِيدَ بِهِ الْأَنْصَارُ قَبْلَ هِجْرَةِ النبيء ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ"[3].

حال النزول:

[1] فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٧٨)، وينظر أيضا: مسند أبي يعلى الموصلي، مسند جابر، ح رقم: (١٨١٨).

[2] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٤٤)، وتفسير المراغي (٢٥/ ١٣).

[3] التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٤).

نزلت في بيان حقيقة الوحي والرسالة، وما يتصل بها.

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها حقيقة الوحي والرسالة وكمال ما اشتملت عليه الدعوة للاستجابة وتخويفاً من عذاب الآخرة.

أولوية الهدى:

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان حقيقة الوحي والرسالة وأنها من الله تعالى ، وبيان حال أهلها وصفاتهم .**

سورة الزخرف.

سنة النزول:

"نزلت بعد الشورى"[1].

ويقول الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَهِيَ مَعْدُودَةٌ السُّورَةَ الثَّانِيَةَ وَالسِتِّينَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ فُصِّلَتْ وَقَبْلَ سُورَةِ الدُّخَانِ"[2].

حال النزول:

نزلت في تصحيح الانحرافات العقدية والقيم الجاهلية الزائفة، ورد النفوس إلى حقائق الدين والتوحيد.

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها بيان حقائق القرآن الثابتة ونقض التصورات الجاهلية الزائفة.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **معالجة التفكير المبني على الخرافة والتبعية للآباء والأجداد، وبناء العقلية الفكرية المؤسسة على حقائق الإيمان والتوحيد .**

١ – سورة الدخان.

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٥٤)، وتفسير المراغي (٢٥/ ٦٧).

[2] التحرير والتنوير (٢٥/ ١٥٧).

سنة النزول:

"نزلت بعد الزخرف"[١].

ويقول الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَهِيَ السُّورَةُ الثَّالِثَةُ وَالسِّتُّونَ فِي عَدِّ نُزُولِ السُّوَرِ فِي قَوْلِ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الزُّخْرُفِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْجَاثِيَةِ فِي مَكَانِهَا هَذَا"[٢].

حال النزول:

نزلت في إنذار المكذبين بالعذاب من خلال تصوير مشهد القيامة، ومصارع الغابرين، والمشهد الكوني.

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها إنذار المكذبين بالعذاب المرتقب.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **والتذكير بالوعد والوعيد وبيان سنة الله في عذاب المهلكين** .

سورة الجاثية.

سنة النزول:

"نزلت بعد الدخان"[٣].

ويقول الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَهِيَ السُّورَةُ الرَّابِعَةُ وَالسِّتُّونَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الدُّخَانِ وَقَبْلَ الْأَحْقَافِ"[٤].

حال النزول:

هذه السورة المكية تصور جانباً من استقبال المشركين للدعوة ، وطريقتهم في مواجهة حججها وآياتها، وتعنتهم في مواجهة حقائقها وقضاياها، واتباعهم للهوى اتباعاً كاملاً في غير ما تحرج من حق واضح أو برهان ذي سلطان. كذلك تصور كيف كان القرآن يعالج قلوبهم الجامحة الشاردة مع الهوى، المغلقة دون الهدى؛ وهو يواجهها بآيات الله القاطعة العميقة التأثير والدلالة، ويذكرهم عذابه، ويصور لهم ثوابه، ويقرر لهم سننه.

---

[١] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٦٦)، وتفسير المراغي (٢٥/ ١١٨).

[٢] التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٧٦).

[٣] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٧٠)، وتفسير المراغي (٢٥/ ١٤٠).

[٤] التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٢٣).

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها تحذير أصحاب الهوى المستكبرين عن آيات الله وبيان حالهم بالذلة في الآخرة.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **مواجهة المستكبرين وبيان ذلهم في الآخرة .**

سورة الأحقاف.

سنة النزول:

"نزلت بعد الجاثية"[1].

ويقول الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَهَذِهِ السُّورَةُ مَعْدُودَةٌ الْخَامِسَةَ وَالسِتِّينَ فِي عِدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ الْجَاثِيَةِ وَقَبْلَ الذَّارِيَاتِ"[2].

حال النزول:

نزلت في محاجة المكذبين بالقرآن وإنذارهم .

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها إقامة الحجة على المكذبين بالقرآن وإنذارهم بعاقبة المهلكين، والثناء على الجن المجيبين توبيخاً للمعرضين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **إقامة الحجة على المكذبين ، والإشادة بالمؤمنين .**

---

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٧٤)، وتفسير المراغي (٢٦/ ٣).

[2] التحرير والتنوير (٢٦/ ٦)، كما تحدث الإمام ابن عاشور رحمه الله عن تحديد زمن نزول بعض الآيات في هذه السورة فقال: "وَبَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ نَسَبُوا اسْتِثْنَاءَ آيَاتٍ مِنْهَا إِلَى بَعْضِ الْقَائِلِينَ، فَحَكَى ابْنُ عَطِيَّةَ اسْتِثْنَاءَ آيَتَيْنِ هُمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ إِلَى الظَّالِمِينَ [الْأَحْقَاف: ١٠] فَإِنَّهَا أَشَارَتْ إِلَى إِسْلَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَهُوَ إِنَّمَا أَسْلَمَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَقَوْلُهُ: فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ [الْأَحْقَاف: ٣٥] . وَفِي «الْإِتْقَانِ» ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ بِاسْتِثْنَاءِ آيَاتٍ ثَلَاث مِنْهَا الثنتان اللَّتَانِ ذَكَرَهُمَا ابْنُ عَطِيَّةَ وَالثَّالِثَةُ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِلَى قَوْله: خاسِرِينَ [الْأَحْقَاف: ١٥- ١٨]. وَسَيَأْتِي مَا يَقْتَضِي أَنَّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ مُضِيِّ عَامَيْنِ مِنَ الْبَعْثَةِ وَأَسَانِيدُ جَمِيعِهَا مُتَفَاوِتَةٌ. وَأَقْوَاهَا مَا رُوِيَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى مِنْهَا، وَسَنُبَيِّنُ ذَلِكَ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَيْهَا فِي مَوَاضِعِهَا"، ينظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ٥- ٦).

سورة الذاريات

سنة النزول:

"نزلت بعد الأحقاف"[1].

ويقول الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَقَدْ عُدَّتِ السُّورَةَ السَّادِسَةَ وَالسِّتِّينَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ. نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْأَحْقَافِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْغَاشِيَةِ"[2].

حال النزول:

نزلت في شأن تعليق القلوب برازقها .

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها تذكير المخاطبين برازقهم المستحق للعبادة وحده وتخويفهم من عاقبة المكذبين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **تعليق القلوب الله تعالى ببيان فضه ورحمته وإنعامه عليهم** .

سورة الغاشية

سنة النزول:

"نزلت بعد الذاريات"[3].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَهِيَ مَعْدُودَةٌ السَّابِعَةَ وَالسِّتِّينَ فِي عِدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الذَّارِيَاتِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْكَهْفِ".

حال النزول:

نزلت في التذكير بآلاء الله وأحوال الآخرة .

مقصد السورة:

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٠٦)، وتفسير المراغي (٢٦/ ١٧٣).

[2] التحرير والتنوير (٢٦/ ٣٣٥).

[3] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٧٦)، وتفسير المراغي (٣٠/ ١٣٠).

هذه السورة يبرز فيها التذكير بمشاهد العذاب والنعيم، ولفت النظر إلى براهين قدرة الله بالعالمين، ويؤكده قوله {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ} [الغاشية: ٢١].

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التذكير بمشاهد قدرة الله في الحياة الدنيا والآخرة .**

سورة الكهف.

سنة النزول:

"نزلت بعد الغاشية"[١].

ويقول الإمام ابن عاشور رحمه الله: "نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْغَاشِيَةِ وَقَبْلَ سُورَةِ الشُّورَى. وَهِيَ الثَّامِنَةُ وَالسِّتُّونَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ[٢].

حال النزول:

مما يروى في أحوال نزول هذه السورة ما ذكره الإمام أبو حيان رحمه الله في تفسيره: " وَسَبَبُ نُزُولِهَا أَنَّ قُرَيْشًا بَعَثَتِ النَّضْرَ بن الحارث وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى أَحْبَارِ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالُوا لَهُمَا: سَلَاهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ وَصِفَا لَهُمْ صِفَتَهُ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَعِنْدَهُمْ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ، فَخَرَجَا حَتَّى أَتَيَا الْمَدِينَةَ فَسَأَلَاهُمْ فَقَالَتْ: سَلُوهُ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرَّجُلُ مُتَقَوِّلٌ، فَرُوا فِيهِ رَأْيَكُمْ سَلُوهُ عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ، فَإِنَّهُ كَانَ لهم حديث عَجِيبٌ، وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا مَا كَانَ بِنَاؤُهُ، وَسَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ فَأَقْبَلَ النضر وعقبة إِلَى مَكَّةَ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: «غدا أخبركم» وَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَاسْتَمْسَكَ الْوَحْيُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا فَأَرْجَفَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ، وَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ تَرَكَهُ رَئِيُّهُ الَّذِي كَانَ يَأْتِيهِ مِنَ الْجِنِّ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ عَجَزَ عَنْ أَكَاذِيبِهِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا انْقَضَى الْأَمَدُ جَاءَهُ الْوَحْيُ بِجَوَابِ الْأَسْئِلَةِ وَغَيْرِهَا.

وَرُوِيَ فِي هَذَا السَّبَبِ أَنَّ الْيَهُودَ قَالَتْ: إِنْ أَجَابَكُمْ عَنِ الثَّلَاثَةِ فَلَيْسَ بِنَبِيٍّ، وَإِنْ أَجَابَ عَنِ اثْنَتَيْنِ وَأَمْسَكَ عَنِ الْأُخْرَى فَهُوَ نَبِيٌّ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُورَةَ أَهْلِ الْكَهْفِ وَأَنْزَلَ بَعْدَ ذلك {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} [الإسراء: ٨٥]"[٣].

---

[١] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٥٨).

[٢] التحرير والتنوير (١٥/ ٢٤٢).

[٣] البحر المحيط في التفسير (٧/ ١٣٤- ١٣٥).

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها منهج التعامل مع الفتن.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان عظمة القرآن في اشتماله على علم الأولين والآخرين ، وأنه العصمة للمؤمنين .**

سورة النحل.

سنة النزول:

قال الإمام مكي بن أبي طالب ناقلا رواية تحديد زمن نزول بعض الآيات من سورة النحل: "سورة النحل مكية قال ابن عباس: هي مكية إلا ثلاث آيات نزلت بين مكة والمدينة، حين رجع النبي – ﷺ– من أحد، وقد قتل حمزة، وقد مثل به، فقال النبي ﷺ "لأمثلن بثلاثين منهم". وقال المسلمون: "لنمثلن بهم". فأنزل الله {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} [النحل: ١٢٦]، إلى آخر السورة"[١].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله في محاولة لتحديد زمن نزول آيات هذه السورة الكريمة التي يظهر أنه قد تنوع نزول آياتها بين المكي والمدني: "وَسَيَأْتِي فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ فِي جَوِّ السَّماءِ [سُورَة النَّحْل: ٧٩] مَا يُرَجِّحُ أَنَّ بَعْضَ السُّورَةِ مَكِّيٌّ وَبَعْضَهَا مَدَنِيٌّ، وَبَعْضَهَا نَزَلَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا [سُورَة النَّحْل: ١١٠] ، وَبَعْضَهَا مُتَأَخِّرُ النُّزُولِ عَنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ لِقَوْلِهِ فِي هَذِهِ وَعَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا مَا قَصَصْنا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ [سُورَة النَّحْل: ١١٨] ، يَعْنِي بِمَا قَصَّ مِنْ قَبْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَعَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ [سُورَة الْأَنْعَام: ١٤٦] الْآيَاتِ.

وَذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ أَنَّهُ رُوِيَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَرَأْتُهَا عَلَى أَبِي طَالِبٍ فَتَعَجَّبَ وَقَالَ: يَا آلَ غَالِبٍ اتَّبِعُوا ابْنَ أخي تُفْلِحُوا فو اللَّهِ إن الله أَرْسَلَهُ لِيَأْمُرَكُمْ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ. وَرَوَى أَحْمَدُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ كَانَ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ قَالَ: فَذَلِكَ حِينَ اسْتَقَرَّ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي وَأَحْبَبْتُ مُحَمَّدًا ﷺ. وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَضَعَهَا فِي مَوْضِعِهَا هَذَا مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ"[٢].

---

[١] الهداية الى بلوغ النهاية (٦/ ٣٩٤٣).

[٢] التحرير والتنوير (١٤/ ٩٣- ٩٤).

ويحسم الإمام ابن جزي رحمه الله ترتيب نزولها فيقول بأنها: "نزلت بعد الكهف"[١].

حال النزول:

نزلت في التذكير بنعم الله الباعثة على توحيده .

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها التذكير بالنعم الدالة على المنعم.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التذكير بنعم الله تعالى بعثاً على عبادته وحده .**

سورة نوح.

سنة النزول:

"نزلت بعد النحل"[٢].

حال النزول:

نزلت في تثبيت النبي ﷺ وأمته على الدعوة والصبر عليها

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها صبر الدعاة وجهادهم في الدعوة.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التذكير بحال الأنبياء وصبرهم على الدعوة تثبيتاً للمؤمنين وتأكيداً على الصبر .**

سورة إبراهيم.

سنة النزول:

"نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ نُوحٍ"[١].

[١] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٢٢).

[٢] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤١٣)، وتفسير المراغي (٢٩/ ٧٨).

حال النزول:

نزلت في بيان حقيقة وحدة الرسالة والرسل، ووحدة دعوتهم، وموقف الناس منهم شكراً وكفراً . .

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها إثبات قيام الرسل بمهمتهم في البلاغ والدعوة للإيمان .

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان وحدة الرسالة والرسل في دعوتهم حثاً للأمم على الإيمان بالنبي ﷺ** .

سورة الأنبياء.

سنة النزول:

"نزلت بعد سورة إبراهيم"[٢].

حال النزول:

نزلت في بيان حال الأنبياء في عبوديتهم وتضرعهم لربهم .

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها التذكير بحال الرسل في وحدة دعوتهم وحسن عبادتهم وتضرعهم لله وحده.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **الثناء على الأنبياء في عبوديتهم وصفاتهم تأكيداً على وحدة رسالتهم وكمال دعوتهم وحثاً على الاقتداء بهم** .

سورة المؤمنون.

سنة النزول:

"وقد نزلت بعد سورة الأنبياء"[٣].

---

[١] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٩/ ٥٦)، وتفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٠٨).

[٢] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٨).

[٣] تفسير المراغي (١٨/ ٣).

حال النزول:

جاء في تفسير الإمام البغوي رحمه الله، ما يفيد بنزول الآيات الأوائل من سورة المؤمنون دفعة واحدة: "عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْوَحْيُ يُسْمَعُ عِنْدَ وَجْهِهِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، فَمَكَثْنَا سَاعَةً -وَفِي رِوَايَةٍ: فَنَزَلَ عَلَيْنَا يَوْمًا فَمَكَثْنَا سَاعَةً -فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: " اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَارْضَ عَنَّا، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ"، ثُمَّ قَرَأَ {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} إِلَى عَشْرِ آيَاتٍ"[1].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها الثناء على المؤمنين والتشنيع على الكافرين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **الثناء على المؤمنين في عبادتهم وصفاتهم تحفيزاً لهم وإغاضة للكافرين وتشنيعاً عليهم .**

سورة السجدة

سنة النزول:

"نزلت بعد المؤمن"[2].

حال النزول:

ذكر الإمام أبو حيان رحمه الله في تفسيره، أن من أحوال نزول هذه السورة: "قَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ مُحَمَّدًا إِلَيْنَا، وَإِنَّمَا الَّذِي جَاءَ بِهِ اخْتِلَاقٌ مِنْهُ، فَنَزَلَتْ"[3].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها حقيقة الخلق وأحوال الإنسان في الدنيا والآخرة.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

---

[1] تفسير البغوي – طيبة (٥/ ٤٠٥)، وينظر أيضا: المستدرك على الصحيحين، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، رفع اليدين عند الدعاء، ح رقم: (١٩٦٧)، وقد قال الإمام الحاكم في هذا الحديث: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ".

[2] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٤١)، وتفسير المراغي (٢١/ ١٠٢).

[3] البحر المحيط في التفسير (٨/ ٤٢٨).

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التذكير بأصل الخلق وأحوالهم ومآلهم** . ولذلك شرعت قراءتها فجر الجمعة تذكيراً بالأصل والمعاد. ومن هنا يتأكد التذكير دائماً بالأصل والمعاد.

سورة الطور.

سنة النزول:

"نزلت بعد السجدة"[1].

حال النزول:

نزلت هذه السورة في مواجهة الشكوك والشبهات والأباطيل التي يثيرها المشركون لتلجئهم إلى الحقيقة والإذعان والاستسلام.

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها عرض الحجج والبراهين لرد شبهات المكذبين إرغاماً لهم على الإذعان والتسليم.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **عرض الحجج العقلية الملجئة للإذعان للحق والاستسلام للتوحيد.**

سورة الملك.

سنة النزول:

"نزلت بعد الطور"[2].

حال النزول:

نزلت في التذكير بقدرة الله وعظمته

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها إظهار كمال ملك الله وقدرته بعثاً على تعظيمه وخشيته وتحذيراً من مخالفته وعقابه.

---

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣١١)، وتفسير المراغي (٢٧/ ١٦).

[2] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٩٤)، وتفسير المراغي (٢٩/ ٣).

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التعريف بالله وقدرته وعظيم ملكه الباعث على الإيمان والمراقبة والخضوع** . ولذلك سميت المانعة والواقية والمنجية لأن الخضوع حامل على لزوم طريق السعادة، ومن لزمها نجا مما يخاف ومنع من كل هول ووقي كل مخلوق، وترد السؤال عمن لازم عليها[1] .

سورة الحاقة

سنة النزول:

"نزلت بعد الملك"[2].

ويقول الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَمُقْتَضَى الْخَبَرِ الْمَذْكُورِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ فَإِنَّ عُمَرَ أَسْلَمَ بَعْدَ هِجْرَةِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى الْحَبَشَةِ وَكَانَتْ الْهِجْرَةُ إِلَى الْحَبَشَةِ سَنَةَ خَمْسٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَقَدْ عُدَّتْ هَذِهِ السُّورَةُ السَّابِعَةُ وَالسَّبْعِينَ فِي عِدَادِ تَرْتِيبِ النُّزُولِ. نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ تَبَارَكَ وَقَبْلَ سُورَةِ الْمَعَارِجِ"[3].

حال النزول:

جاء في تفسير ابن عطية رحمه الله وهو يتحدث عن أحوال نزول هذه السورة: "وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: خرجت يوما بمكة متعرضا لرسول الله ﷺ، فوجدته قد سبقني للمسجد الحرام، فجئت فوقفت وراءه، فافتتح سورة الحاقة، فلما سمعت سرد القرآن، قلت في نفسي إنه لشاعر، كما تقول قريش حتى بلغ إلى قوله {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الحاقة: ٤٠ – ٤٣]. ثم مر حتى انتهى إلى آخر السورة، فأدخل الله تعالى في قلبي الإسلام"[4].

فهذه الرواية تبين أن سورة الحاقة كانت معهودة محفوظة قبل إسلام سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ.

مقصد السورة:

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ٢١٥- ٢١٦)، بتصرف.

[2] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٠٤)، وتفسير المراغي (٢٩/ ٤٩).

[3] التحرير والتنوير (٢٩/ ١١١).

[4] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣٥٦)، وينظر أيضا: مسند أحمد بن حنبل، مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، مسند أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ، ح رقم: (١٠٨).

هذه السورة يبرز فيها بيان أن أمر القيامة حق، وعيداً للمكذبين بإظهار حسرتهم، ووعداً للمؤمنين بإظهار فرحهم.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **إثبات الآخرة وجزائها وأنه حق ، ووعيد المكذبين .**

سورة المعارج.

سنة النزول:

"نزلت بعد الحاقة"[1].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَهِيَ السُّورَةُ الثَّامِنَةُ وَالسَّبْعُونَ فِي عِدَادِ نُزُولِ سُوَرِ الْقُرْآنِ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْحَاقَّةِ وَقَبْلَ سُورَةِ النَّبَأِ"[2].

حال النزول:

ذكر الإمام أبو حيان رحمه الله في تفسيره، نقلا عن أحوال نزول سورة المعارج قائلا: "قَالَ الْجُمْهُورُ: نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ حِينَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ الْآيَةِ. وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: فِي أَبِي جَهْلٍ. وَقِيلَ: فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالُوا: اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ الْآيَةِ"[3].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها بيان وقوع العذاب على الكافرين والنعيم للمصدقين بيوم الدين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **تأكيد وقوع العذاب على الكافرين .**

سورة النبأ.

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٠٩)، وتفسير المراغي (٢٩/ ٦٥).

[2] التحرير والتنوير (٢٩/ ١٥٣).

[3] البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٢٧٠).

سنة النزول:

"نزلت بعد المعارج"[1].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله محاولا تحديد الفترة الزمنية لنزول هذه السورة الكريمة: "وَعُدَّتِ السُّورَةَ الثَّمَانِينَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْمَعَارِجِ وَقَبْلَ سُورَةِ النَّازِعَاتِ.

وَفِيمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ مَا يَقْتَضِي أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ فِي أَوَّلِ الْبَعْثِ، رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «كَانَتْ قُرَيْشٌ تَجْلِسُ لَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ فَتَتَحَدَّثُ فِيمَا بَيْنَهَا فَمِنْهُمُ الْمُصَدِّقُ وَمِنْهُمُ الْمُكَذِّبُ بِهِ» فَنَزَلَتْ: عَمَّ يَتَساءَلُونَ.

وَعَنِ الْحَسَنِ لَمَّا بُعِثَ النَّبِيءُ ﷺ جَعَلُوا يَتَسَاءَلُونَ بَيْنَهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: عَمَّ يَتَساءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ [النَّبَإِ: ١، ٢] يَعْنِي الْخَبَرَ الْعَظِيمَ"[2].

حال النزول:

ذكر الإمام أبو حيان رحمه الله كلاما يمكن أن يساعد في تحديد أحوال نزول هذه السورة الكريمة فقال: "وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا بُعِثَ، جَعَلَ الْمُشْرِكُونَ يَتَسَاءَلُونَ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُونَ: مَا الَّذِي أَتَى بِهِ؟ وَيَتَجَادَلُونَ فِيمَا بُعِثَ بِهِ، فَنَزَلَتْ"[3].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها إثبات نبأ القرآن العظيم في البعث والجزاء بالأدلة والبراهين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **إثبات البعث والجزاء بالأدلة والبراهين** .

سورة النازعات.

سنة النزول:

"نزلت بعد النبأ"[4].

---

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٤٤)، وتفسير المراغي (٣٠/ ٣).

[2] التحرير والتنوير (٣٠/ ٥).

[3] البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٣٨٣)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٣٩٠).

[4] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٤٨)، وتفسير المراغي (٣٠/ ٢١).

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَهِيَ مَعْدُودَةٌ الْحَادِيَةَ وَالثَّمَانِينَ فِي تَرْتِيبِ النُّزُولِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ النَّبَأِ وَقَبْلَ سُورَةِ الِانْفِطَارِ"[1].

حال النزول:

جاء في تفسير الإمام الألوسي رحمه الله: "وعن ابن عباس أنها نزلت عقب سورة عم وأولها يشبه أن يكون قسما لتحقيق ما في آخر عم أو ما تضمنته كلها وفي البحر لما ذكر سبحانه في آخر ما قبلها الإنذار بالعذاب يوم القيامة أقسم عز وجل في هذه على البعث ذلك اليوم فقال جل شأنه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} [النازعات: ١ - ٥]"[2].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها عرض مشاهد الموت والبعث والقيامة تخويفاً للطغاة المكذبين وتذكيراً للمؤمنين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : عرض مشاهد الموت والبعث تأكيداً لوقوعه .

سورة الانفطار

سنة النزول:

"نزلت بعد النازعات"[3].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَهِيَ مَعْدُودَةٌ الثَّانِيَةَ وَالثَمَانِينَ فِي عِدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ النَّازِعَاتِ وَقَبْلَ سُورَةِ الِانْشِقَاقِ"[4].

حال النزول:

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله متحدثا عن أغراض السورة مما يمكن أن يعكس الجو الذي نزلت فيه: "وَاشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى: إِثْبَاتِ الْبَعْثِ، وَذِكْرِ أَهْوَالٍ تَتَقَدَّمُهُ وَإِيقَاظِ الْمُشْرِكِينَ لِلنَّظَرِ فِي الْأُمُورِ الَّتِي صَرَفَتْهُمْ عَنِ الِاعْتِرَافِ

---

[1] التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩).

[2] تفسير الألوسي = روح المعاني (١٥/ ٢٢٣).

[3] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٥٨)، وتفسير المراغي (٣٠/ ٦٣).

[4] التحرير والتنوير (٣٠/ ١٦٩).

بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنِ النَّظَرِ فِي دَلَائِلِ وُقُوعِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ. وَالْأَعْلَامِ بِأَنَّ الْأَعْمَالَ مُحْصَاةٌ. وَبَيَانِ جَزَاءِ الْأَعْمَالِ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا. وَإِنْذَارِ النَّاسِ بِأَنْ لَا يَحْسَبُوا شَيْئًا يُنْجِيهِمْ مِنْ جَزَاءِ اللَّهِ إِيَّاهُم على سيّء أَعْمَالهم"[1].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها عرض مشاهد القيامة تخويفاً للمكذبين بيوم الدين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **عرض مشاهد القيامة تأكيدا وتخويفاً** .

سورة الانشقاق

سنة النزول:

"نزلت بعد الانفطار"[2].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَقَدْ عُدَّتِ الثَّالِثَةَ وَالثَمَانِينَ فِي تَعْدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الِانْفِطَارِ وَقَبْلَ سُورَةِ الرُّومِ"[3].

حال النزول:

وفي أحوال نزول السورة يقول الإمام ابن عاشور رحمه الله: "ابْتُدِئَتْ بِوَصْفِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَحُلُولِ يَوْمِ الْبَعْثِ وَاخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْخَلْقِ يَوْمَئِذٍ بَيْنَ أَهْلِ نَعِيمٍ وَأهل شقاء"[4].

فالإمام ابن عاشور وإن لم يحدد هنا ما اختصت به هذه السورة من أحوال نزول، إلا أن أغراضها تعكس طبيعة السور المكية.

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها تصوير القيامة باستسلام الكون وخضوعه لربه في أمره، إلزاما للإنسان على الاستسلام لأمر الله، واستنكاراً له على التكذيب والجحود.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

---

[1] التحرير والتنوير (٣٠/ ١٦٩- ١٧٠).

[2] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٦٤)، وتفسير المراغي (٣٠/ ٨٧).

[3] التحرير والتنوير (٣٠/ ٢١٧).

[4] التحرير والتنوير (٣٠/ ٢١٧).

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **إثبات الآخرة وجزائها وأنه حق ، ووعيد المكذبين بها .**

سورة الروم

سنة النزول:

"نزلت بعد الانشقاق"[1].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله متحدثا عن أحوال نزول هذه السورة: "وَهِيَ السُّورَةُ الرَّابِعَةُ وَالثَّمَانُونَ فِي تَعْدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الِانْشِقَاقِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ وَغَيْرِهِ أَنَّ غَلَبَ الرُّومِ عَلَى الْفُرْسِ كَانَ فِي عَامِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، وَلِذَلِكَ اسْتَفَاضَتِ الرِّوَايَاتُ وَكَانَ بَعْدَ قَتْلِ أُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ يَوْمَ أُحُدٍ.

وَاتَّفَقَتِ الرِّوَايَاتُ عَلَى أَنَّ غَلَبَ الرُّومِ لِلْفُرْسِ وَقَعَ بَعْدَ مُضِيِّ سَبْعِ سِنِينَ مِنْ غَلَبِ الْفُرْسِ عَلَى الرُّومِ الَّذِي نَزَلَتْ عِنْدَهُ هَذِهِ السُّورَةُ. وَمَنْ قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ كَانَ بَعْدَ تِسْعِ سِنِينَ بِتَقْدِيمِ التَّاءِ الْمُثَنَّاةِ فَقَدْ حُمِلَ عَلَى التَّصْحِيفِ كَمَا رَوَاهُ الْقُرْطُبِيُّ عَنِ الْقُشَيْرِيِّ يَقْتَضِي أَنَّ نُزُولَ سُورَةِ الرُّومِ كَانَ فِي سنة إِحْدَى قَبْلَ الْهِجْرَةِ لِأَنَّ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ كَانَتْ فِي سَنَةِ سِتٍّ بَعْدَ الْهِجْرَةِ. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ انْتِصَارَ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ يُوَافِقُ يَوْمُهُ يَوْمَ بَدْرٍ"[2].

حال النزول:

جاء في تفسير الإمام أبي حيان رحمه الله في سبب نزول هذه السورة: "وَسَبَبُ نُزُولِهَا أَنَّ كِسْرَى بَعَثَ جَيْشًا إِلَى الرُّومِ، ... فَسَارَ إِلَيْهِمْ بِأَهْلِ فَارِسَ، وَظَفِرَ وَقَتَلَ وَخَرَّبَ وَقَطَعَ زَيْتُونَهُمْ، وَكَانَ الْتِقَاؤُهُمْ بِأَذْرِعَاتٍ وَبُصْرَى، ... فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِكَوْنِهِمْ مَعَ الرُّومِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَفَرِحَ بِذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ لِكَوْنِهِمْ مَعَ الْمَجُوسِ لَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ.

وَأَخْبَرَ رسول الله ﷺ، أَنَّ الرُّومَ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ.

وَنَزَلَتْ أَوَائِلُ الرُّومِ، فَصَاحَ أَبُو بَكْرٍ بِهَا فِي نَوَاحِي مَكَّةَ: {الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ} [الروم: ١ - ٤]. فَقَالَ نَاسٌ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ: زَعَمَ صَاحِبُكَ أَنَّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فَارِسًا فِي بِضْعِ سِنِينَ، أَفَلَا نُرَاهِنُكَ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ: بَلَى، وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الرِّهَانِ. فَاتَّفَقُوا أَنْ جَعَلُوا بِضْعَ سِنِينَ وَثَلَاثَ قَلَائِصَ، وَأَخْبَرَ أَبُو بَكْرٍ رَسُولَ اللَّهِ بِذَلِكَ فَقَالَ: «هَلَّا اخْتَطَبْتَ؟ فَارْجِعْ فَزِدْهُمْ فِي الْأَجَلِ وَالرِّهَانِ».

---

[1] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٣٠)، وتفسير المراغي (٢١/ ٢٦).

[2] التحرير والتنوير (٢١/ ٣٩- ٤٠).

فَجَعَلُوا الْقَلَائِصَ مِائَةً، وَالْأَجَلَ تِسْعَةَ أَعْوَامٍ. فَظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ، ... وَظَهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ.

وَقِيلَ: كَانَ النَّصْرُ يَوْمَ بَدْرٍ لِلْفَرِيقَيْنِ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطَرَ مِنْ ذُرِّيَّةِ أُبَيٍّ، وَجَاءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «تَصَدَّقْ بِهِ» ... وَجَاءَ الْخَبَرُ، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ. وَكَانَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الشَّاهِدَةِ بِصِحَّةِ النُّبُوَّةِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِأَنَّهَا إِنْبَاءٌ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ"[1].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها تفرد الله تعالى بتصريف الأمور والأحداث وسنته في خلقه.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **إثبات أن الأمر والتصرف كله لله، تطميناً للمؤمنين بنصرهم** .

سورة العنكبوت

سنة النزول:

"نزلت بعد الروم"[2].

ويقول الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَهَذِهِ السُّورَةُ هِيَ السُّورَةُ الْخَامِسَةُ والثامنون فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ سُوَرِ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الرُّومِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ، وَسَيَأْتِي عِنْدَ ذِكْرِ سُورَةِ الرُّومِ مَا يَقْتَضِي أَنَّ الْعَنْكَبُوتَ نَزَلَتْ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ إِحْدَى قَبْلَ الْهِجْرَةِ فَتَكُونُ مِنْ أُخْرَيَاتِ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ بِحَيْثُ لَمْ يَنْزِلْ بَعْدَهَا بِمَكَّةَ إِلَّا سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ"[3].

حال النزول:

قال الإمام ابن عاشور رحمه الله: "رَوَى الطَّبَرِيُّ وَالْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النُّزُولِ» عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ الْآيَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنْهَا (أَيْ إِلَى قَوْلِهِ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ [العنكبوت: ٣] نَزَلَتَا بَعْدَ الْهِجْرَةِ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَسْلَمُوا فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ أَصْحَابُ النَّبِيءِ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ إِسْلَامٌ حَتَّى يُهَاجِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ فَخَرَجُوا مُهَاجِرِينَ فَاتَّبَعَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَرَدُّوهُمْ.

---

[1] البحر المحيط في التفسير (٨/ ٣٧٣- ٣٧٤).

[2] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٢)، وتفسير المراغي (٢٠/ ١٠٩).

[3] التحرير والتنوير (٢٠/ ٢٠٠).

وَرَوَى الطَّبَرِيُّ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ إِلَى قَوْلِهِ وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ [العنكبوت: ١٠، ١١] نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ بِمَكَّةَ وَذَكَرَ قَرِيبًا مِمَّا رُوِيَ عَنِ الشَّعْبِيِّ.

وَفِي «أَسْبَابِ النُّزُولِ» لِلْوَاحِدِيِّ عَنْ مُقَاتِلٍ: نَزَلَتِ الْآيَتَانِ الْأُولَيَانِ فِي مِهْجَعٍ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَرَجَ فِي جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بَدْرٍ فَرَمَاهُ عَامِرُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ فَجَزِعَ عَلَيْهِ أَبَوهُ وَامْرَأَتُهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ السُّورَةَ كُلَّهَا نَزَلَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. وَقِيلَ: إِنَّ آيَةَ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ [العنكبوت: ١٠] نَزَلَتْ فِي نَاسٍ مِنْ ضَعَفَةِ الْمُسْلِمِينَ بِمَكَّةَ كَانُوا إِذَا مَسَّهُمْ أَذًى مِنَ الْكُفَّارِ وَافَقُوهُمْ فِي بَاطِنِ الْأَمْرِ وَأَظْهَرُوا لِلْمُسْلِمِينَ أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا عَلَى إِسْلَامِهِمْ كَمَا سَيَأْتِي عِنْدَ تَفْسِيرِهَا.

وَقَالَ فِي «الْإِتْقَانِ»: وَيُضَمُّ إِلَى مَا اسْتُثْنِيَ مِنَ الْمَكِّيِّ فِيهَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا [العنكبوت: ٦٠] لِمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِمَكَّةَ بِالْمُهَاجَرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالُوا كَيْفَ نَقْدَمُ بَلَدًا لَيْسَتْ لَنَا فِيهِ مَعِيشَةٌ فَنَزَلَتْ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا [العنكبوت: ٦٠].

وَقِيلَ: هَذِهِ السُّورَةُ آخِرُ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ وَهُوَ يُنَاكِدُ بِظَاهِرِهِ جَعْلَهُمْ هَذِهِ السُّورَةَ نَازِلَةً قَبْلَ سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ. وَسُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ آخِرُ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ. وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بِأَنَّ ابْتِدَاءَ نُزُولِ سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ قَبْلَ ابْتِدَاءِ نُزُولِ سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ ثُمَّ نَزَلَتْ سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ كُلُّهَا فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَنْزِلُ فِيهَا سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ ثُمَّ تَمَّ بَعْدَ ذَلِكَ جَمِيعُ هَذِهِ السُّورَةِ"[١].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها الأمر بالثبات والصبر وقت الابتلاء والفتن وعاقبته.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان سنة الله في الابتلاء** ، تأكيداً على الثبات والصبر .

سورة المطففين

سنة النزول:

"نزلت بعد العنكبوت وهي آخر سورة نزلت بمكة"[٢].

[١] التحرير والتنوير (٢٠/ ١٩٩- ٢٠٠).

[٢] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٦٠)، وتفسير المراغي (٣٠/ ٧١).

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله: "وَهِيَ مَعْدُودَةٌ السَّادِسَةَ وَالثَّمَانِينَ فِي عِدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ"[1].

حال النزول:

اختلف المفسرون اختلافا كبيرا في أحوال نزول هذه السورة وأسبابها، وقد جمع لنا الإمام ابن عطية رحمه الله خلاصة هذه الأقوال فقال: "سورة المطفّفين وهي مكية في قول جماعة من المفسرين، واحتجوا لذكر الأساطير، وهذا على أن هذا تطفيف الكيل والوزن كان بمكة حسبما هو في كل أمة لا سيما مع كفرهم، وقال ابن عباس والسدي والنقاش وغيره: السورة مدنية، قال السدي: كان بالمدينة رجل يكنى أبا جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص، فنزلت السورة فيه، يقال إنها أول سورة نزلت بالمدينة، وقال ابن عباس أيضا فيما روي عنه: نزل بعضها بمكة ونزل أمر التطفيف بالمدينة، لأنهم كانوا أشد الناس فسادا في هذا المعنى فأصلحهم الله تعالى بهذه السورة، وقال آخرون: نزلت السورة بين مكة والمدينة، وذلك ليصلح الله تعالى أمرهم قبل ورود رسوله عليهم"[2].

وقد رجح الإمام ابن عاشور رحمه الله مكية السورة فقال: "وَالَّذِي نَخْتَارُهُ: أَنَّهَا نَزَلَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ لِأَنَّ مُعْظَمَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ التَّعْرِيضُ بِمُنْكِرِي الْبَعْثِ"[3].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها بيان حال الناس في الموازين والمنازل الأخروية. تهديداً للمطففين المكذبين المستهزئين بالمؤمنين وحطاً لمنزلتهم في الآخرة، وتأنيساً للمؤمنين المستضعفين ورفعاً لمنازلهم في الآخرة.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان حال الكافرين والمؤمنين في الآخرة . توعداً للكافرين المستهزئين ، ووعداً للمؤمنين المستضعفين .**

خلاصة مقاصد وأولويات الهدى في السورة النازلة في هذه المرحلة :

أولاً: الخاص بالنبي ﷺ:

المقصد: تسلية النبي ﷺ بقصص الأنبياء، وتثبيته بالمعجزات.

---

[1] التحرير والتنوير (٣٠/ ١٨٨).

[2] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٤٩).

[3] التحرير والتنوير (٣٠/ ١٨٧).

بالتأمل في هذه المرحلة التي كانت ختام الفترة المكية، وكان حال النبي ﷺ في أشد ما يواجه من المشركين جاءت سور تترى تثبته وتقويه، وتسليه بحال الأنبياء قبله، وتبشره بالنصر والتمكين، ومنها: يونس وهود ويوسف ، والقصص والعنكبوت والروم .

أولوية الهدى: ربط حملة الرسالة بهدي الرسل وقصصهم في القرآن تثبيتًا وتأسيًا.

من أعظم ما يحتاجه حملة الرسالة فيما يلاقونه من صعوبات وابتلاءات: ارتباطهم بهدي الأنبياء وسننهم، والوقوف على سيرهم التي قصها الله علينا تثبيتاً وتأسيا كما قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ هود: ١٢٠ ؛ ففي قصص الأنبياء سنن في صبرهم على طول البلاء وثباتهم على طول التكذيب.

ثانياً: العام للأمة:

المقصد: تثبيت المؤمنين وتبشيرهم، وتوعد الكافرين وإنذارهم.

تأتي هذه المرحلة التي هي آخر مراحل الفترة المكية والتي اشتد فيها أذى المشركين حتى أذن النبي ﷺ بالهجرة الثانية إلى الحبشة ثم جاء الإذن والفرج بالهجرة إلى المدينة بعد بيعة العقبة الثانية، وفي هذه الفترة تنزل سور الحواميم التي تنذر المشركين بالوعيد معلنة الانتصار للقرآن، كما تأتي بعض السور التي تثبت النبي ﷺ والمؤمنين وتبشرهم بسنة الله تعالى في الابتلاء قبل التمكين ونصرة المستضعفين وهلاك المستكبرين كسورة القصص والعنكبوت والروم.

أولوية الهدى: بيان سنن الله تعالى في الابتلاء والتمكين تثبيتاً وتبشيراً.

مما تحتاجه الأمة في أوقات محنتها تثبيتها بسنن الله في الابتلاء والتمكين، وما جرى للأنبياء وأممهم من تلك السنن، كما تؤكده سورة القصص والعنكبوت والروم.

المطلب الثاني : المقاصد والأولويات الكلية للسور المكية:

مما لا شكّ فيه أنّ المرحلة المكية مختلفة تمامًا عن المرحلة المدنية، فالمرحلة المكية هي مرحلة التأسيس والانبعاث داخل بيئة عشش فيها الشرك وخيمت أفكار الجاهلية، فكانت الحال كما صورها لنا الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب – ﷺ – بالوصف الدقيق في حواره مع النجاشي لما قال له: "أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ...فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا، وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا، لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ..."(١).

فهذا الحوار يصور لنا الواقع الذي أنزل فيه القرآن في مرحلته الأولى، كما يصور لنا كذلك المقاصد التي جاء بها القرآن المكي ليدعو الناس إليها.

وأهم ما جاءت به هذه المرحلة من مقاصد كلية :

أولاً : إثبات وحدانية الله وإبطال الشرك بالبراهين والحجج .

هذا المقصد هو أعظم المقاصد التي عنى بها القرآن في مراحله كلها ، إلا أنه قد يبرز في السور المكية بشكل أظهر ، وذلك لأنه المقصود من بعثة النبي ﷺ أصلا. وقد تجلى هذا المقصد في عامة السور المكية ، بل منها ما خصص للتوحيد كسورة الفاتحة والإخلاص والكافرون والأنعام . وما من آية إلا وتجدها دالة على التوحيد . وقد تنوع عرض أدلت التوحيد في السور المكية بأساليب كثيرة . منها : بيان أسماء الله تعالى وصفاته العلى الدالة على كماله ، ومنها مشاهد الكون والحياة ، ومنها إظهار آيات

١) سيرة ابن هشام (ت: ٢١٣ هـ)، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: ٢، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م، (٣٣٦/١).

قدرة الله تعالى في الخلق والإيجاد والتصرف والحكمة ، ومنها الامتنان بنعم الله على عباده ، ومنها عرض دعوة الأنبياء وأن دعوتهم واحدة هي التوحيد وبيان عاقبة الموحدين والمشركين من أقوامهم . وفي مقابل ذلك عُني القرآن بإبطال الشرك ومظاهره وقد تجلى ذلك في سور كثيرة كسورة الأنعام التي أبطلت شرك المشركين في الأنعام ، وسورة الأعراف والحج التي أبطلت أعمال الشرك في بيت الله تعالى والحج . وسور كثيرة بين عاقبة الشرك والمشركين .

أولوية الهدى :

في ضوء هذه المقصد الكلي في القرآن ، وفي المرحلة المكية خاصة ، يمكن لنا أن نحدد أولويات مهمة في مبادرات الهدى القرآني ، وذلك بأن تتوجه جميع المبادرات إلى تحقيق هذه القضية ، وخلاصتها في التعريف بالله تعالى ولزوم عبادته وحده . وهذا المقصد العظيم عليه ترتكز جميع مقاصد القرآن ، ويتجلى في كل سور القرآن وآياته . إلا أننا يمكن أن نطرح من أولوياتنا بعض المبادرات الخاصة بهذه القضية من خلال معالجة جوانب الخلل فيها في هذا العصر ، ومثال ذلك:

- مبادرة بيان هدايات القرآن في التعريف بالله تعالى وأسمائه تمكيناً لقاعدة التوحيد
- مبادرة هدايات القرآن في إبطال الشرك ومظاهره .

ثانياً : الدعوة إلى أصول الفضائل والأخلاق وكليات العقائد والأفكار، المتعارف عليها في جميع الديانات والأعراف، واعتبار الإسلام امتدادا لما سبق من الأديان والرسالات: وقد تجلى ذلك في السور المكية ببيان صلة رسالة الإسلام بدين الأنبياء من قبل بذكر سيرهم وأحوالهم وهديهم ، والتذكير بأصول الأخلاق والفضائل التي اتفقت عليها الأديان .

أولوية الهدى :

في ضوء هذا المقصد الكلي يمكن لنا أن نحدد أولويات الهدى بالتركيز على المبادرات التي تؤكد أصول الفضائل والأخلاق ، ودعوة غير المسلمين من خلالها . ومن ذلك مثلاً :

- مبادة هدايات القرآن في أصول الفضائل المتفق عليها بين الأديان .

ثالثاً : إثبات وترسيخ الإيمان بالبعث ويوم الحساب وأن الدنيا دار امتحان والآخرة دار جزاء :

جاء الحديث عن الآخرة مركزياً في السور المكية أكثر من ذكرها في السور المدنية ، ذلك لأن من الأسباب الرئيسية لتكذيب المشركين عدم إيمانهم بالآخرة . ولا تخلو سورة منه غالباً عن الحديث عن الآخرة ، بل قد نزلت سور خاصة في الحديث عن الآخرة كالقيامة والتكوير والمطففين والانفطار والانشقاق والزلزلة والقارعة والهمزة وغيرها . بل إن المفصل ركز على هذا الأصل ، ولهذا قالت عائشة :" إنما نزل أول مانزل منه ذكر الجنة والنار " [1].

أولوية الهدى :

في ضوء هذا المقصد تتحدد لنا أولوية مهمة في الهدى القرآني وهي التركيز على المبادرات التي تربط المسلم بالآخرة وتذكره بالثواب والعقاب ، وبيان موازين الآخرة مقارنة بموازين الدنيا ، وهذه الأولوية تحقق توازناً في حياة المسلم ، ومن المبادرات المقترحة في ذلك :

- مبادرة استخلاص هدايات آيات الجنة ونعيمها وبيان ما أعده الله لأوليائه .
- مبادرة استخلاص هدايات حقيقة الحياة الدنيا والآخرة .

رابعًا: التنويه بشأن القرآن وأنه حق منزل من عند الله ، والانتصار له ، وبيان عظمته وهدايته، وسمو أهله وسعادتهم به : ويتجلى ذلك في النزول المكي والمدني ، إلا أنه يظهر بشكل واضح في السور المكية ، ويؤكده افتتاح كثير من السور بالحروف المقطعة المتبوعة ببيان عظمة القرآن وهدايته وأنه حق من عند الله ، بل قد جاءت سورة تركز على الانتصار للقرآن كسور الحواميم ، وجاءت سورة تظهر عظمة القرآن وأنه سبب للسعادة والسمو كسورة الإسراء وطه والنمل .

أولوية الهدى :

[1] أخرجه البخاري رقك (٤٩٩٣) .

في ضوء هذا المقصد يتأكد لنا أولوية الهدى في المبادرات التي تتحدث عن القرآن وعظمته وهدايته للبشرية وأثره في سعادتهم ورقيهم . كما تتأكد لنا أهمية المبادرات التي تدافع عن القرآن والشبهات المثارة حوله . ومن المبادرات المقترحة :

- مبادرة هدايات القرآن في عظمة القرآن وكماله .
- مبادرة هدايات مفاتيح السعادة الإنسانية بالقرآن .

خامساً : دلائل صدق النبي ﷺ والدفاع عنه وتسليته : وتجلى ذلك في سور كثيرة منها مايؤكد صدق ما جاء به من القرآن ، وأنه من عند الله عز وجل، وإظهار ما فيه من إعجاز وما تضمنه من أخبار الأمم الماضية، وذكر الحوادث الحاضرة والمستقبلية ، وأيضاً ماحققه الله له من المعجزات كانشقاق القمر ، ومعجزة الإسراء والمعراج ، والثناء عليه بأخلاقه وعبادته لله . ومنها مايثبت الله به فؤاده ويسليه ويدافع عنه كسور الحواميم ، والسور التي تضمنت قصص الأنبياء تثبيتاً وتسلية كيونس وهود ويوسف وطه والقصص والنمل وغيرها .

أولوية الهدى :

في ضوء هذا المقصد يتأكد لنا أولوية الهدى في المبادرات التي تظهر عظمة النبي صلى الله عليه وسلم ومكانته وصدقه وتدافع عنه وتبطل الشبهات المثارة حوله . ومن ذلك مثلاً:

- مبادرة هدايات القرآن في تعظيم مقام النبي ﷺ ومكانته بين الأنبياء
- مبادرة هدايات القرآن في أخلاق النبي ﷺ.

سادساً : التذكير بقصص الأنبياء وأممهم وحقيقة الصراع بين الحق والباطل ، جانب القصص القرآني أخذ حيزاً كبيراً في القرآن بما يعادل الثلث ، وتضمن قصص الأنبياء للاقتداء والاهتداء والتسلية والتثبيت كطه والأنبياء والنمل ، وقصص الأمم المكذبة وإهلاكهم للعظة والعبرة . وقصص الصراع بين الحق والباطل كما في سورة الأعراف وهود والشعراء .

أولوية الهدى :

في ضوء هذا المقصد يتجلى لنا أولوية العناية بالقصص القرآني من جانبين :

الأول : إبراز هدايات قصص الأنبياء للاقتداء والاهتداء.

الثاني : إبراز هدايات القرآن في سنة الصراع بين الحق والباطل على مر التاريخ تثبيتاً للمؤمنين وتبشيراً لهم بعاقبة أمرهم . وتحذيراً للمكذبين .

المبحث الثاني: أولويات الهدى القرآني في ضوء أحوال نزول السور المدنية، وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول : السور التي نزلت في بداية المرحلة المدنية : من بداية الهجرة إلى السنة الثالثة بعد الهجرة.

اتفق العلماء على أن أوائل سورة البقرة، وأواخر سورة آل عمران وسورة الأنفال، قد نزلت بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة.

أولا: سورة البقرة:

سنة النزول:

ذكر العلماء بأن سورة البقرة أول ما نزلت من السور في المدينة. يقول الزركشي: أول ما نزل فيها –أي المدينة – سورة البقرة، وذكره ابن النديم عن ابن عباس[١] . وقال ابن عاشور: نزلت سورة البقرة بالمدينة بالاتفاق وهي أول ما نزل في المدينة.[٢] ونقل ابن حجر الاتفاق على ذلك فقال: واتفقوا على أنها مدنية وأنها أول سورة أنزلت بها.[٣]

ونزول هذه السورة دام عشر سنوات واستغرق الفترة المدنية كاملة. والذي يظهر أن غالبها نزل في السنوات الثلاث الأولى سوى آيات الحج التي نزلت في السنة السادسة، وآية {لا إكراه في الدين} في السنة الرابعة، وآيات الربا والدين التي نزلت في السنة الحادية عشرة.

قال ابن عاشور عن مدة تنزيل سورة البقرة: إن اشتمال سورة البقرة على أحكام الحج والعمرة وعلى أحكام القتال من المشركين في الشهر الحرام والبلد الحرام ينبئ بأنها استمر نزولها إلى سنة خمس وسنة ست.[٤] .

حال النزول:

هذه السورة لطول فترة نزولها الذي استغرق الفترة المدنية كاملة عشر سنوات، يظهر أنها واكبت تأسيس الدولة المدنية وبناء أسس نظامها التشريعي.

مقصد السورة:

---

(١) انظر الفهرست (ص: ٤٣)

(٢) التحرير والتنوير (١/ ١٩٩)

(٣) فتح الباري (٨/ ١٦٠)

(٤) التحرير والتنوير (١/ ٢٠٠)

بناء أصول الشريعة وكلياتها، وإعداد الأمة المستخلفة لتلقيها وتبليغها.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **تربية المؤمنين على تلقي أوامر الله بالقبول والتسليم** .

ثانيا: سورة الأنفال:

سنة النزول:

نزلت سورة الأنفال بعد سورة البقرة. فقد أخرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الأنفال قال نزلت في بدر[1]. أي في السنة الثانية.

حال النزول:

من أهم الموضوعات التي ركزت عليها آيات سورة الأنفال الكريمة هو الحديث عن غزوة بدر الكبرى، فهي تحكي في آياتها تفاصيل هذه لمعركة ابتداء بأسبابها، مرورا بأجوائها، وما صاحبها من أحداث وملابسات، وصولا إلى نهايتها بتسجيل بعض الدروس والعبر التي ينبغي للمسلمين أن يستفيدوا منها؛ ومن خلال استقراء المرويات وتتبع كلام المفسرين عن نزول هذه السورة، فإننا سنجد أن هذه السورة الكريمة نزلت بعد غزوة بدر الكبرى، فيقول الإمام ابن عطية (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "ولا خلاف في هذه السورة أنها نزلت في يوم بدر وأمر غنائمه"[2]، كما يؤكد ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما كون اختصاص هذه السورة ونزولها بعد غزوة بدر الكبرى فقد سأله سائل: "قلت لِابْنِ عَبَّاس: سُورَة الْأَنْفَال قَالَ: نزلت فِي بدر، وَفِي لفظ: تِلْكَ سُورَة بدر"[3].

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها الامتنان على المؤمنين بنصر الله وبيان سنن النصر والهزيمة.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التربية**

---

[1] صحيح البخاري . تح البغا (٤/ ١٧٠٣)

[2] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (ت: ٥٤٢ هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٢٢ هـ، (٢/ ٤٩٦).

[3] ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، دار الفكر – بيروت، (بدون تاريخ)، (٤/ ٣).

على أسباب النصر ، وبيان أن النصر من الله تعالى .

ثالثا: سورة آل عمران:

سنة النزول:

سورة آل عمران سورة مدنية بالاتفاق. قال ابن عطية: هذه السورة مدنية بإجماع فيما علمت.[١] ويدل على ذلك بأنه قد نزل منها آيات في غزوة أحد.

قال ابن عاشور: نزلت سورة آل عمران بعد سورة الأنفال، وكان نزولها في وقعة أحد، أي شوال سنة ثلاث.[٢]

وقد ذكر المفسرون بأن أولها إلى ثلاث وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران، وقد وفدوا على النبي ﷺ في السنة التاسعة للهجرة كما ذكر أهل السير[٣]، إلا أن هناك من رأى أنه حتى أولها نزل في الفترة الأولى من المرحلة المدنية، وذهب بعضهم إلى احتمال نزول أولها في أول المرحلة المدنية، نظرا لحديثها عن أهل الكتاب[٤]. واتباع الأثر أولى من النظر.

وأما النصف الثاني من سورة آل عمران فقد كان نزول ما يقرب من ستين آية منه في أعقاب غزوة أحد[٥]، وقد كانت غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة كما هو معلوم. قال ابن عاشور: نزلت سورة آل عمران بعد سورة الأنفال، وكان نزولها في وقعة أحد، أي شوال سنة ثلاث.[٦]

ونزلت آية "١٢" من آل عمران في السنة الرابعة من الهجرة. وهي: قوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) (١٢).

حال النزول:

من أهم الأحوال والأحداث البارزة المصاحبة لنزول هذه السورة هو المناظرة المشهودة التي أقامها أحبار نصارى وفد نجران مع رسول الله ﷺ، فقد ذكر المفسرون أن: "هَذِهِ السُّورَة، سُورَة آلِ عِمْرَانَ ... مَدَنِيَّةٌ الْآيَاتُ، وَسَبَبُ نُزُولِهَا فِيمَا ذَكَرَهُ الْجُمْهُورُ: أَنَّهُ وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفْدُ نَصَارَى نَجْرَانَ"[٧]، كما اشتملت هذه السورة في أكبر موضوعاتها عن حديث طويل عن غزوة أحد وبعض أهم تفاصيلها.

---

(١)تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣٩٦)

(٢)التحرير والتنوير (٣/ ١٤٤)

(٣) انظر السيرة النبوية لابن كثير (٤/ ١٠٠)

(٤) انظر التحرير والتنوير (٣/ ٦) والتفسير الحديث (٧/ ١٠٦)

(٥)التفسير الوسيط لطنطاوي (٢/ ٦)

(٦)التحرير والتنوير (٣/ ١٤٤)

[٧] البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، (٣/ ٩).

مقصد السورة:

هذه السورة يبرز فيها بيان أن دين الإسلام هو الحق إلزاماً لأهل الكتاب وتثبيتاً لأهل الإسلام.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **الرد على الشبهات الواردة حول الإسلام ، والأمر بالثبات على دين الله تعالى** .

خلاصة مقاصد وأولويات الهدى في هذه المرحلة:

أولاً: الخاص بالنبي ﷺ:

المقصد: تهيئة النبي ﷺ لقيادة المجتمع المدني وتمكينه وتأكيد طاعته واتباعه.

كانت المرحلة الأولى في العهد المدني مرحلة إعداد القيادة للدولة، ومنهج التعامل مع أهل المدينة بأصنافهم، فهناك اليهود وهم أهل كتاب وعلم، والمنافقون العرب الذين نشؤوا بعد أن شرقوا بالدعوة، وأهل المدينة من الأوس والخزرج الذين كانت بينهم فرقة وحروب، والمهاجرون من الصحابة وهم الصفوة المختارة قبل الهجرة فجاءت سورة؛ البقرة كاشفة للنبي ﷺ حال اليهود وطبائعهم، ومؤكدة لهم صدق نبوته ﷺ كما جاء في كتبهم، وجاءت الأنفال وآل عمران في التأكيد على أصحابه بالطاعة والاتباع.

أولوية الهدى: إعداد حملة الرسالة لقيادة المجتمع وتمكينهم ومنهج تعاملهم مع المخالفين.

من أهم الأولويات في الدعوة: إعداد القيادات من حملة الرسالة وتمكينهم وتثبيت قواعدهم في المجتمع، ورسم منهج تعاملهم مع أصناف المجتمع بمختلف طبائعهم، ونستطيع القول بكل وضح: أن سورة البقرة هي سورة إعداد القادة، ويؤكد ذلك: تضمنها لقيادة الأنبياء كآدم وإبراهيم وموسى وطالوت، وكل قصة تعد القائد في جانب من الجوانب .

ولقد تجلى لنا نموذج من نماذج إعداد السورة للقادة في منهج الخليفة الثاني عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حيث أخذ هذه السورة وتربى عليها اثنا عشر سنة.

ومن هنا تأتي الوصية بمبادرة لصناعة القادة بالقرآن من خلال سورة البقرة.

ثانياً: عامة الأمة:

المقصد: تقرير أسس الشريعة والتربية على التسليم والامتثال، والتحذير من مشابهة أهل الكتاب في المخالفة والإعراض.

يتجلى في هذه المرحلة مقصد التأسيس للدولة ببناء أسس النظام التشريعي كما رسمته سورة البقرة، وجاءت العناية الربانية في هذه المرحلة بتهيئة المؤمنين بتلقي شريعة الله من خلال عرض نماذج التلقي والتخلي في هذه السورة، فجاءت قصة آدم وإبراهيم كنماذج للإقتداء، وجاءت قصة بني إسرائيل كنموذج سلبي للأمة المستخلفة التي تخلت عن شريعة الله بسوء طبائعها، فحذر الله هذه الأمة من التشبه بها، كما رسمت هذه السورة وسورة آل عمران والأنفال منهج الاتباع للنبي ﷺ، ومنهج التعامل مع المخالفين.

وبالتأمل في سورة آل عمران التي نزل آخرها قبل أولها بست سنين؛ يظهر لناء من خلال هذا المقصد سر اقتران أولها بآخرها، وسر تعظيمها واقترانها بالبقرة، وهو أنها تضمنت أساساً من أسس بناء الدولة، وهو: اتباع النبي ﷺ وطاعته، فقد جاء في أولها: قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ آل عمران: ٣١، وجاء في آخرها قصة أحد التي تمثلت في عقوبة مخالفة أمره.

أولوية الهدى: ترسيخ أصول الشريعة، وتربية المجتمع على التسليم لأوامر الله، وتعظيمها وعدم مخالفتها.

من أولى الأولويات التي يجب التركيز عليها في المجتمع المسلم: ترسيخ أصول الشريعة وكلياتها، وحماية حدودها، وتربية المجتمع على تعظيم أمر الله ورسوله ﷺ، وتعظيم الشريعة التي نص عليها الكتاب والسنة.

وهذه الأولوية تتأكد في حال اختلاط المجتمع المسلم وتداخله من أهل الكتاب والمنافقين الذين يسعون جاهدين في إثارة الشبه وتشويه صورة الحدود والتشريعات الربانية لخلخلة المجتمع .

المطلب الثاني : السور التي نزلت في وسط المرحلة المدنية :

سورة البينة.

سنة النزول:

قال ابن عاشور –رحمه الله–:" نزلت قبل سورة الحشر، فتكون نزلت قبل غزوة بني النضير، وكانت غزوة النضير سنة أربع في ربيع الأول فنزول هذه السورة آخر سنة ثلاث أو أول سنة أربع"[١].

حال النزول:

كان نزولها في حال كان اليهود والمشركون متكالبين على الرسول –ﷺ، وكان الفساد قد استشرى بين أتباع الدّيانات السابقة، وكانت البيّنة الواضحة والنور الهادي هو بعثة مُحَمَّد– ﷺ–، وقد أوضح الله تعالى أنّ من كفر به سيصلى نار جهنّم، وأن من آمن به سيتمتّع برضوان الله في جنات النعيم[٢].

مقصد السورة:

بيان كمال الرسالة المحمدية ووضوحها توبيخاً لليهود والمشركين المعرضين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان وضوح رسالة النبي ﷺ واتفاقها مع الرسالات السابقة إقامة للحجة على المكذبين.**

سورة الحشر:

سنة النزول:

في السنة الرابعة، في قصة غزوة بني النضير.

قال ابن الجوزي " وذكر المفسرون أن جميعها أنزلت في بني النضير، وكان ابن عباس يسمي هذه السورة: (سورة بني النضير) وهذه الإشارة إلى قصتهم.."(٣) .

وقال ابن عاشور ¬:" وكان نزولها عقب إخراج بني النّضير من بلادهم سنة أربعٍ من الهجرة"(٤).

---

[١] التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠/ ٤٦٨)، ينظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور، لجعفر شرف الدين (١٢/ ٧٩)

[٢] ينظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور، لجعفر شرف الدين (١٢/ ٨٣).

[٣] زاد المسير: (٨/ ٢٠١).

[٤] التحرير والتنوير: (٢٨/ ٦٣)، وينظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور (٩/ ١٨٥).

- الأحاديث والآثار الدالة على النزول:

حال النزول:

واكب نزولها نقض يهود بني النضير عهدهم مع الرسول -ﷺ- وإظهار عداوتهم له ولصحابته، وحصار النبي-ﷺ- لهم وإجلاءهم.

مقصد السورة:

إظهار قوة الله عز وجل وعزته في تفريق كلمة الكافرين وتوهين قوتهم في مقابل إظهار تآلف المؤمنين وعزتهم.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : بيان قوة الله تعالى في **توهين قوة الكافرين ونصر المؤمنين**.

سورة الأحزاب

سنة النزول:

في السنة الخامسة. قال ابن عاشور: وكان نزولها على قول ابن إسحاق أواخر سنة خمسٍ من الهجرة"(١).

حال النزول:

نزلت بعد غزوة الأحزاب أو الخندق. في حال اجتماع المشركين بجميع قبائلهم على المسلين في المدينة، وكفاه الله لنبيه ﷺ والمؤمنين كيدهم.

مقصد السورة:

عناية الله بنبيه ﷺ وحماية جنابه وأهل بيته .

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **تعظيم مقام النبي ﷺ وحماية الله له وللمؤمنين معه .**

سورة النور:

(١) التحرير والتنوير: (٢٤٥/٢١)، وينظر: محتويات سور القرآن، للطويل، ص(٢١٧).

سنة النزول:

في السنة الخامسة

حال النزول:

السورة نزلت بعد حادثة الإفك التي اختلقها المنافقون في اتهام عائشة ﵂[1].

مقصد السورة:

الدعوة إلى العفاف وحماية الأعراض .

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **حماية الأعراض وتطهير المجتمع المسلم من أسباب الشهوات وأصحابها.**

سورة الحج: :

سنة النزول:

في السنة الخامسة. قال ابن عاشور: "هذه السورة أنزلت على النبي ﷺ بعد الهجرة ، فإن أسفاره كانت في الغزوات ونحوها بعد الهجرة،وأن ذلك السفر في غروة بني المصطلق من خزاعة وتلك الغزوة في سنة خمس"[2].

حال النزول:

السورة نزل غالبها في أسفار النبي ﷺ وجهاده مع المشركين ، وكأنها سطوة على الكافرين المجادلين في الله، ولذلك ركزت على تعظيم الله وتعظيم أمره وشعائر دينه، وتضمنت أحكام الحج القائمة على التوحيد منذ أذن به إبراهيم عليه السلام توبيخاً للمشركين الذين لم يعظموا الله فيه بتوحيده وتعظيم شعائره ، ولهذا جاء في ثناءا الآيات **{فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور . حنفاء لله غير مشركين به}**. وختمت بضرب الأمثال لأوثانهم توهيناً لها ولقوتها وتوبيخاً على على عدم توقيرهم لله {ماقدروا الله حق قدره}، وتضمنت السورة تعظيماً لله بأسمائه في آيات متتالية نظم فيها وعده تعالى للمؤمنين بنصرهم، وتوعداً للكافرين بعقابهم. ولهذا جاء فيها قوله **{إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لايحب كل خوان كفور. أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير}**.

---

[1]) ينظر: أسباب النزول، للواحدي (ص: ٣١٨)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٨/ ١٧٠)، الصحيح المسند من أسباب النزول، للوادعي (ص: ١٤٥).

[2]) التحرير والتنوير، لابن عاشور(١٧/ ١٧٩ – ١٨٢).

مقصد السورة:

تعظيم الله تعالى وشعائره بالتوحيد.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **تعظيم الله وشعائر دينه** .

سورة المنافقون

سنة النزول:

في السنة الخامسة، بعد غزوة بني المصطلق (المريسيع) وكانت سنة خمسة من الهجرة[١].

حال النزول:

نزلت في حال فشو النفتق وظهوره ، وقول عبد الله بن أبي ابن سلول بعد غزوة بني المصطلق (ليخرجن الأعز منها الأذل)"[٢].

مقصد السورة:

فضح المنافقين والتحذير منهم.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التحذير من المنافقين وكيدهم** .

سورة الممتحنة:

سنة النزول:

في السنة السادسة. قال ابن عطية: "وهذه الآيات نزلت سنة ست من الهجرة"[٣].

حال نزولها:

---

١) ينظر: السيرة النبوية، لابن كثير (٣/ ٢٩٧)، الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية، لمحمد طه (ص: ٢٧٩)

٢ التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٨/ ٢٣٢).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٢٩٦).

كان نزولها في حال خروج النبي ﷺ لمكة عام الحديبية. قال ابن عاشور: "واتّفقوا على أنّ الآية الأولى نزلت في شأن كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين من أهل مكّة لإخبارهم بغزو النبي ﷺ مكة، وفي شأن من أسلم من النساء المهاجرات بعد الحديبية"[١].

مقصد السورة:

تحذير المؤمنين من تولي الكافرين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التحذير من موالاة الكافرين وعواقبه ، والعناية بالمسلمين الجدد.**

سورة النساء.

سنة النزول:

في السنة السادسة. قال ابن عاشور-رحمه الله-: "سورة النساء نازلة بعد صلح الحديبية الذي هو في سنة ست"[٢]. وفيها صلاة الخوف التي نزلت سنة ست.

حال النزول:

نزلت استقرار المسلمون بالمدينة، وانتظمت أحوالهم وأمنوا من أعدائهم، فمعظم ما في سورة النساء شرائع تفصيلية في معظم نواحي حياة المسلمين الاجتماعية أحتاجها المسلمون في تلك الفترة من نظم الأموال والمعاشرة، وغير ذلك[٣].

مقصدها:

تنظيم المجتمع المسلم وبناء علاقاته، وحماية حقوق أفراده.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **تنظيم الشؤون الاجتماعية وحماية الحقوق المالية منعاً للظلم والتعدي .**

سورة الزلزلة.

---

[١] التحرير والتنوير: (٢٨/١٣٠-١٣١).

[٢]) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٤/٢١١ -٢١٢).

[٣]) ينظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور، لجعفر شرف الدين (٢/ ١٠٧).

سنة النزول:

في السنة السادسة، قال ابن عاشور –رحمه الله–: "نزلت بعد سورة النساء وقبل سورة الحديد"[١].

حال النزول:

نزلت في الحظ على الإنفاق في الجهاد ولو قل ، وكان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشئ القليل إذا أعطوه، ، فأنزل الله (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)[٢].

مقصد السورة:

التذكير بأهوال القيامة ودقة الحساب فيها حثا على الأعمال والإنفاق.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان أن الجزاء من جنس العمل يوم الحساب**[٣].

سورة الحديد.

سنة النزول:

في السنة السادسة بعد سورة النساء، وكان نزول سورة النساء فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك، فيكون نزول سورة الحديد في ذلك التاريخ أيضًا[٤].

قال ابن عاشور– رحمه الله–: "وفيها آية (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح) الآية، وسواء كان المراد بالفتح في تلك الآية فتح مكة أو فتح الحديبية، فإنه أطلق عليه اسم الفتح وبه سميت سورة الفتح ، فهي متعينة لأن تكون مدنية فلا ينبغي الاختلاف في أن معظم السورة مدني" [٥].

حال النزول:

واكب نزول هذه السورة كثرة الغزوات ومواجهات الأعداء بين صلح الحديبية وغزوة تبوك.

مقصد السورة:

الترقي بالنفوس للإيمان والإنفاق في سبيل الله، وهي تتضمن القوة الروحية والمادية.

---

[١]) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠/ ٤٩٠)

[٢]) لباب النقول، للسيوطي (ص: ٢١٥).

[٣] التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٩٠)، بتصرف.

[٤]) الموسوعة القرآنية خصائص السور، لجعفر شرف الدين (٩/ ١٤١).

[٥]) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٧/ ٣٥٤).

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التربية على الإيمان والبذل لدين الله تعالى** .

سورة مُحَمَّد.

سنة النزول:

في السنة السادسة، قال ابن عطية –رحمه الله–: "(وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) الآية، إنها نزلت بمكة في وقت دخول النبي– ﷺ– فيها عام الفتح أو سنة الحديبية"[١].

حال النزول:

نزلت تحريضاً للمؤمنين قبل الفتح.

مقصد السورة:

تحريض المؤمنين على القتال تقوية لهم وتوهيناً للكافرين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التهيئة النفسية للجهاد** .

سورة الرعد.

سنة النزول:

قال ابن عاشور –رحمه الله–: "والذين جعلوها مدنية عدوها في النزول بعد سورة القتال، وإذا كانت سورة القتال نزلت عام الحديبية أو عام الفتح تكون سورة الرعد بعدها"[٢].

حال النزول:

نزلت لإظهار قوة الله وبأسه تهديداً للمشركين وتقوية للمؤمنين، كان نزولها بعد الفتح.

مقصد السورة:

إظهار قوة الله وبأسه توهيناً للكافرين وتقوية للمؤمنين.

---

[١]) المحرر الوجيز، لابن عطية (٥/ ١٠٩).

[٢]) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٣/ ٧٦).

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان قوة الله تعالى وقدرته تقوية للمؤمنين وتوهيناً للكافرين** .

سورة الرحمن.

سنة النزول:

في السنة السادسة. قال ابن عاشور-رحمه الله-: "عن ابن عباس: أنها مدنية نزلت في صلح الحديبية عند ما أبى سهيل بن عمرو أن يكتب في رسم الصلح «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»[1].

حال النزول:

نزلت في حال امتناع المشركين كتابة اسم الرحمن في صلح الحديبية.

مقصد السورة:

التذكير بنعم الله الباطنة والظاهرة، وآثار رحمته في الدنيا والآخرة.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التذكير بنعم الله وآلائه على عباده**[2].

سورة الإنسان.

سنة النزول:

في السنة السادسة، قال ابن عاشور- رحمه الله-: "نزلت بعد سورة الرحمن وقبل سورة الطلاق، وهذا جري على ما رآه أنها مدنية"[3].

حال النزول:

فيها التذكير بنعمة الله على الخلق منذ بداية خلقهم، ومنته على المؤمنين بالوعد الكريم. وكأنها مؤكدة لسورة الرحمن في تعداد النعم الأخروية.

---

[1]) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٧/ ٢٢٨)، وينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٥/ ٢٢٣).

[2] السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٤/ ١٥٦)، بتصرف.

[3]) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩/ ٣٧٠).

مقصدها:

تذكير الإنسان بأصل خلقه ومصيره، وبيان ما أعده الله في الجنة لأوليائه.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التذكير بأحوال الإنسان في الدنيا والآخرة .ترهيباً وترغيباً .**

سورة الطلاق.

سنة النزول:

في السنة السادسة، قال ابن عاشور-رحمه الله-: "نزلت بعد سورة الإنسان"[١].

حال نزولها:

نزلت في تطليق النبي - ﷺ - حفصة، وقيل: نزلت في عبد الله بن عمر وطلاقه زوجته وهي حائض[٢].

مقصد السور:

بيان حدود الطلاق وتعظيم حدوده وثمرات التقوى.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان حدود الله في حقوق الخلق والتأكيد عليها .**

سورة الفتح

سنة النزول:

في السنة السادسة، قال ابن كثير: "نزلت هذه السّورة الكريمة لما رجع رسول الله، من الحديبية في ذي القعدة من سنة ستٍّ من الهجرة، حين صدّه المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام ليقضي عمرته فيه[٣]. وقال ابن عاشور: "ونزولها سنة ستٍّ بعد الهجرة منصرف النبي، من الحديبية[٤].

---

[١]) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٨/ ٢٩٣).

[٢]) أسباب النزول، للواحدي(ص: ٤٣٥).

[٣] تفسير القرآن العظيم: (٣٢٥/٧).

[٤] التحرير والتنوير: (١٤١/٢٦-١٤٢).

حال النزول:

أنزلت سورة الفتح بين مكّة والمدينة في شأن الحديبية من أوّلها إلى آخرها[١].

مقصد السورة:

تبشير النبي ﷺ والمؤمنين بالفتح والتمكين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **تبشير النبي ﷺ والمؤمنين بالفتح والتمكين.**

سورة الجمعة

سنة النزول:

نزلت في السنة السادسة. **قال ابن عاشور:** "ويظهر أنها نزلت سنة ست وهي سنة خيبر، فظاهر حديث أبي هريرة ..... أن هذه السورة نزلت بعد فتح خيبر لأن أبا هريرة أسلم يوم خيبر»[٢].

حال النزول:

في حال انشغال الصحابة بالتجارة عن صلاة الجمعة. **عن جابر** رضي الله عنه، **قال:** «بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت من الشام عير تحمل طعاما، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلا فنزلت»: {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها} [الجمعة: ١١][٣].

مقصد السورة:

الامتنان على الأمة وتفضيلها برسوله وبيوم الجمعة حثاً على حضورها.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **الامتنان على الأمة بما فضلهم الله به تأكيداً على التمسك بدينهم واتباع نبيهم ﷺ**

---

[١] أخرجه الحاكم في المستدرك: (٢/٤٩٨)، وقال:" هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ ولم يخرّجاه".

[٢] المرجع السابق . مع أن محتوى السورة يدل على أنها نزلت في وقت كان في المدينة فيه فريق من اليهود وكانوا على شيء من القوة والاعتداد. ولما كان يهود بني قريظة هم آخر من بقي من اليهود في المدينة وقد نكّل النبي ﷺ بهم في السنة الهجرية الخامسة بعد وقعة الخندق. وقد أشير إلى ذلك في سورة الأحزاب. فعلى أقل تقدير تكون سورة الجمعة قد نزلت قبل ذلك وبالتبعية قبل سورة الأحزاب. التفسير الحديث (٧/ ٣٢٨)

[٣] صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب قول الله تعالى: {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها} [الجمعة: ١١] (٣/ ٥٥)، ح/٢٠٥٨ .

سورة المجادلة:

سنة النزول:

في السنة التاسعة، لأن سورة الحجرات والتحريم نزلتا بعدها في السنة التاسعة` **قال ابن عاشور:** (وهي السورة المائة وثلاث في عداد نزول سور القرآن نزلت بعد سورة المنافقين وقبل سورة التحريم)[١] اهـ..

حال النزول:

نزلت هذه السورة في خولة بنت ثعلبة، لما ظاهر منها زوجها، فأتت النبي ﷺ تشتكيه، فأنزل الله هذه السورة في تحريم الظّهار، وبيان حكمه، وأوعد جلّ جلاله من يخالف ذلك أشدّ وعيد، وقد ناسب هذا السياق الكلام على المنافقين الذين يحادّون الله ورسوله [٢]

مقصد السورة:

إظهار علم الله الشامل وإحاطته البالغة، تربية على مراقبته، وتحذيرا من مخالفته.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بيان كمال علم الله المطلق بعثاً على مراقبته والتزام حدوده .**

سورة الحجرات:

سنة النزول:

في السنة التاسعة

حال النزول:

نزلت سورة الحجرات في عام الوفود سنة تسع من الهجرة، حيث ورد في سبب النزول قدوم وفد بني تميم للرسول ﷺ. [٣].

مقصد السورة:

تكميل الإيمان والأخلاق

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

---

[١] التحرير والتنوير (٢٨/ ٦)

[٢] الموسوعة القرآنية خصائص السور (٩/ ١٦٧).

[٣] التحرير والتنوير (٢٨/ ٦).

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **بناء الأمة المسلمة على مكارم الأخلاق وقيم الترابط والأخوة.**

سورة التحريم

سنة النزول:

نزلت سورة التحريم بعد سورة الحجرات، سنة تسع من الهجرة، **قال ابن عاشور:** "وهي مدنية ... نزلت بعد سورة الحجرات وقبل سورة الجمعة"[١].

حال النزول:

نزلت في حال تحريم النبي ﷺ على نفسه مارية أو العسل كما جاء في أسباب النزول[٢] [٣].

مقصد السورة:

إعداد البيت النبوي ليكون قدوة للمسلين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **إصلاح البيت المسلم بطاعة الله وحفظ حدوده**

سورة التغابن

سنة النزول:

في السنة العاشرة نزلت بعد التحريم[٤].. عدها ابن عاشور السابعة والمائة في ترتيب نزول السور، فلعل نزولها – تقريبا – في السنة العاشرة[٥].

وهي من السور المختلف فيها، فهي مدنية على قول الجمهور، وقال الضحاك: مكية. وقال الكلبي: هي مكية ومدنية.

حال النزول:

---

[١] التحرير والتنوير (٢٨/ ٣٤٣)

[٢] سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة التحريم (٥/ ٤٢٠)، ٣٣١٨

[٣] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣٢٩)، تفسير القرطبي (١٨/ ١٧٧)، التحرير والتنوير (٢٨/ ٣٤٣). الموسوعة القرآنية خصائص السور (١٠/ ٤١).

[٤] تفسير المراغي (٢٨/ ١١٨)

[٥] التحرير والتنوير (٢٨/ ٢٥٨)

نزل آخرها في عوف بن مالك الأشجعي، شكا إلى رسول الله ﷺ جفاء أهله وولده، فأنزل الله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم [التغابن: ١٤] إلى آخر السورة[١].

مقصد السورة:

التحذير مما تحصل به الندامة والغبن يوم القيامة.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التحذير من يوم القيامة والخسارة فيه .**

سورة الصف:

سنة النزول:

سورة الصف نزلت بعد سورة التغابن وقبل سورة الفتح[٢]، **قال ابن جزي:** "نزلت بعد التغابن"[٣].

وقيل نزلت بعد أحد في رجال تمنوا الجهاد بعد بعد بدر ولم يكونوا حضروا بدراً. **قال مُحَمَّد بن كعب:** لما أخبر الله تعالى رسوله ﷺ بثواب شهداء بدر، قال الصحابة: لئن لقينا بعده قتالا لنفرغن فيه وسعنا، ففروا يوم أحد فعيرهم الله بهذه الآية[٤].

حال النزول:

قال ابن عاشور تعليقا على سبب النزول: ".... يقتضي أن السورة نزلت بعد أن أمروا بالجهاد بآيات غير هذه السورة. وبعد أن وعدوا بالانتداب للجهاد ثم تقاعدوا عنه وكرهوه[٥].

مقصد السورة:

حث المؤمنين على نصرة الدين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **حث المؤمنين على وحدة الصف ونصرة الدين .**

---

[١] تفسير القرطبي (١٨/ ١٣١)، تفسير ابن كثير (٨/ ١٥٩)، التحرير والتنوير (٢٨/ ٢٥٨) الموسوعة القرآنية خصائص السور (١٠/ ٣)، التفسير الحديث (٨/ ٥٤٤).

[٢] التفسير الوسيط لطنطاوي (١٤/ ٣٥١) الموسوعة القرآنية خصائص السور (٩/ ٢٣٥)

[٣] التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٧٠)

[٤] تفسير البغوي – طيبة (٨/ ١٠٤)

[٥] التحرير والتنوير (٢٨/ ١٧٢)

خلاصة مقاصد وأولويات السور النازلة في هذه المرحلة :

أولاً: الخاص بالنبي ﷺ:

المقصد: بيان مكانة النبي ﷺ، وحماية جنابه، وحفظ حقوقه، والدفاع عنه.

تجلى في هذه المرحلة العناية بمقام النبي ﷺ وحقوقه، والدفاع عنه، وهو مقصد ناتج من العناية بتنظيم المجتمع ومقوماته، ولا شك أنّ من أعظم مقومات المجتمع: القائد والقدوة والاجتماع عليه وحماية مقامه وحقوقه، وقد تجلى ذلك في سورة الأحزاب التي ركزت على هذا المقصد بوضوح، ففيها خصوصيات النبي ﷺ بما لم يأت في غيرها من السور، كما تأكد هذا المقصد في سورة النور والمنافقون والممتحنة والحديد و مُحَمَّد والفتح.

أولوية الهدى: حماية مقام العلماء وحملة الرسالة وحفظ حقوقهم والدفاع عنهم.

من أولويات الهدى في القرآن: حماية جناب حملة الرسالة وحفظ حقوقهم في المجتمع والدفاع عنهم؛ ذلك أن إضعاف قيمة العلماء والقدوات الصالحة من الدعاة والمصلحين والإقلال من قدرهم مدخل رئيس لهدم قيم المجتمع، فيتولى قيادة المجتمع قيادات فاسدة فيضلوا الناس بجهلهم، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك كما في حديث عبد الله بن عمرو أنه قال: قال ﷺ: "..... حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"[1].

ثانياً: العام بالأمة.

المقصد: تنظيم المجتمع المسلم، وبناء علاقاته، وحمايته من أعدائه.

من أعظم مقاصد هذه المرحلة كما سبق: بناء النظام الاجتماعي للدولة المسلمة بعد استقرارها، وقد تجلى ذلك في سور عدة، كسورة النساء والأحزاب والنور والطلاق.

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم: ح رقم (١٠٠)، (٣١/١).

ونلحظ في هذه السور جميعاً: التركيز على إبطال عادات الجاهلية في شأن الحقوق الاجتماعية والأسرة التي بنيت على الظلم والتعدي، فأقامت هذه الشريعة نظاماً عادلاً حافظاً للحقوق، وخاصة حقوق الضعفاء كاليتيم والمرأة؛ ومن هنا سميت سورة من الطوال بالنساء، وفي ثنايا هذا التنظيم والتشريع يتخلل ذلك الحديث عن أهل الكتاب والمنافقين تحذيراً من كيدهم للمجتمع في هدم كيانه وخلخلة نظامه.

أولوية الهدى: العناية ببناء الأسرة والعلاقات الاجتماعية، وحماية المجتمع المسلم من كيد أعدائه.

من أعظم الأولويات المستنبطة من سور هذه المرحلة: التركيز على بناء الأسرة وحمايتها من كيد الأعداء، وحفظ الحقوق الاجتماعية المؤسسة على الرحمة والمستمسكة بحبل الرحم، وحين نتأمل الواقع نجد ذلك ظاهراً، والحاجة ملحة في التركيز على هذه الأولوية.

المطلب الثالث : السور والآيات التي نزلت في أواخر المرحلة المدنية :

سورة المائدة:

سنة النزول:

السنة العاشرة

وهي من آخر ما نزل من القرآن، كما أخرج الحاكم في المستدرك عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ: حَجَجْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ لِي: يَا جُبَيْرُ تَقْرَأُ الْمَائِدَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: «أَمَا إِنَّهَا آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَلَالٍ، فَاسْتَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ»[(١)].

ونزول هذه السورة كان متفاوتاً، فأولها نزل بعد منصرف النبي ﷺ من الحديبية بمدة، قال ابن عطية: "هذه السورة مدنية بإجماع، وروي أنها نزلت عند منصرف رسول الله ﷺ من الحديبية" [(٢)].

وآية منها نزلت في حجة الوداع في السنة العاشرة: قال ابن جزي: "(مدنية إلا آية (اليوم أكملت لكم...) فنزلت بعرفات في حجة الوداع، ...نزلت بعد الفتح"[(٣)].

مقصد السورة:

الأمر بالوفاء بالعقود بعد اكتمال التشريعات.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **الأمر بالوفاء بالعهود وإقامة الحدود** .

سورة التوبة:

سنة النزول:

نزلت سورة التوبة في أواخر السنة التاسعة من الهجرة، بعد غزوة تبوك، وبذلك تعد من أواخر السور المدنية التي أنزلت على النبي – ﷺ –، وقيل: هي آخر سورة نزلت كما أخرج البخاري في صحيحه عن البراء – رضي الله عنه –، قال: (آخر سورة نزلت كاملة براءة)[(٤)].

قال ابن كثير: "وأول هذه السورة الكريمة نزل على رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج [(١)].

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٢/٣٤٠) برقم (٣٢١٠)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ١٤٣).

(٣) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٢١٩).

(٤) تقدم تخريجه قريبًا.

وقال ابن عاشور: "وأكثر الأقوال على أن براءة نزلت قبل خروج أبي بكر من المدينة للحج" [٢].

حال النزول:

نزلت هذه السورة بعد غزوة تبوك وعزم النبي ﷺ على الحج.

مقصد السورة:

البراءة من المشركين والمنافقين وجهادهم، وفتح باب التوبة للتائبين.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **فضح المنافقين وأعداء الدين والكشف عن مناهجهم، وضرورة إقصائهم من الحياة الاجتماعية للمسلمين.**

سورة النصر

سنة النزول:

السنة العاشرة. قال ابن جزي: "نزلت بمنى في حجة الوداع فتعد مدنية وهي آخر ما نزل من سور القرآن[٣].

حال النزول:

تسمى سور التوديع لكونها نزلت توديعاً للنبي ﷺ، وهي تحمل بين طياتها إتمام الرسالة، وأداء الأمانة، والاستعداد للّحاق بالرفيق الأعلى[٤].

مقصد السورة:

الإشعار بإتمام الرسالة، وأداء الأمانة، والاستعداد للّحاق بالرفيق الأعلى.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **التبشير ببقاء الإسلام ونصره ودخول الناس فيه .**

---

[١] تفسير ابن كثير ط العلمية (٤/ ٨٩)

[٢] التحرير والتنوير (١٠/ ٩٨).

[٣] التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٢٠)

[٤] الموسوعة القرآنية خصائص السور (١٢/ ٢٧٢).

آخر ما نزل من الآيات:

سورة النساء: ٥٨

قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٥٨﴾ [سورة النساء:٥٨].

سنة النزول وحاله:

الآية الكريمة نزلت بمكة يوم الفتح في السنة الثامنة في جوف الكعبة، في شأن عثمان بن طلحة الشيبي، صاحب مفتاح الكعبة [١].

قال ابن كثير: "وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة .... وسبب نزولها فيه لما أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم رده عليه[٢].

مقصد الآية:

الأمر بأداء الأمانات إلى أهلها

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **الأمر بأداء الأمانات إلى أهلها**

سورة المائدة: الآية ٣

قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [سورة المائدة:٣].

سنة وحال النزول:

نزلت هذه الآية يوم الجمعة، في يوم عرفة، بعد العصر في حجة الوداع، سنة عشر من الهجرة، والنبي ﷺ واقف بعرفات على ناقته. **قال الواحدي:** "نزلت هذه الآية يوم الجمعة، وكان يوم عرفة، بعد العصر في حجة الوداع، سنة عشر والنبي ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضباء"[٣].

مقصد الآية:

إتمام النعم الإلهية باكتمال نزول الدين الإسلامي، مع تضمنه لرضوان الله.

---

[١] الموسوعة القرآنية (٢/ ١٦)

[٢] تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٩)

[٣] أسباب النزول ت زغلول (ص: ١٩٢)

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **الإعلام باكتمال إنزال الدين المرضي من الله، وضرورة امتثال ما فيه لنيل هذا الرضوان.**

سورة التوبة: الآية ١٢٨

قوله تعالى: قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة:١٢٨].

سنة وحال النزول:

في السنة الحادية عشرة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي بن كعب، **قال:** "آخر آية نزلت: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم} [التوبة: ١٢٨][(١)].

مقصد الآية:

فضيلة مقام النبي ﷺ بين المؤمنين وحرصه عليهم

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **الامتنان على الأمة بنبيها إلزاماً على اتباعه وطاعته .**

آيات الربا:

قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[البقرة:٢٧٥] إلى آخر آيتي الدين .**

سنة النزول:

السنة الحادية عشرة: وقد اتفق المفسرون على أن هذه الآيات من آخر ما نزل من القرآن[(٢)]. كما ورد عن عمر بن الخطاب قال: كان آخر ما نزل من القرآن آية الربا، وإن نبي الله ﷺ قبض قبل أن يفسرها، فدعوا الربا والريبة". [(١)]

[(١)] مسند أحمد ، مسند الأنصار ،(٣٥/ ٤٢)،ح/٢١١١٣.

[(٢)] ينظر: أحكام القرآن للجصاص (١٨٣/٢)، وتفسير ابن كثير (٥٤٨/١)، والمدخل لدراسة القرآن (ص: ١٢٧).

حال النزول:

نزلت الآيات في حال كثرة الغنائم على المسلمين وأقبل الناس على إصلاح أموالهم فجاء التشريع بأحكام الأموال.

قال ابن جزي: "سبب الآية أنه كان بين قريش وثقيف ربا في الجاهلية، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة قال في خطبته: «كل ربا كان في الجاهلية موضوع»، ثم إنّ ثقيف أرسلت تطلب الربا الذي كان لهم على قريش، فأبوا من دفعه وقالوا: قد وضع الربا، فتحاكموا إلى عتّاب بن أسيد أمير مكة، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية"[٢].

مقصد الآيات:

تحريم الربا منعاً للظلم وأكل الأموال بغير حق.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **تحريم الربا وأكل الأموال بعير حق .**

سورة البقرة: الآية ٢٨١

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [سورة البقرة:٢٨١].

سنة النزول:

في السنة الحادية عشر، وهي آخر آية أنزلت على الرسول ﷺ، وهذا الذي عليه الجمهور[٣].

حال النزول:

نزلت قبل وفاة النبي ﷺ بليال. **قال مقاتل:** "وهذه آخر آية نزلت من القرآن، ثم توفي النبي – ﷺ– بعدها بتسع ليال"[٤].

مقصد الآية:

وصية الله لعباده في آخر نزول وحيه بالأمر بالتقوى والاستعداد للقائه.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

---

[١] تفسير الطبري (٦/ ٣٧)

[٢] التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٣٨)

[٣] التحرير والتنوير (٣/ ٩٧)

[٤] تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٢٢٨).

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **وصية الله لعباده بالتقوى والاستعداد للقائه.**

سورة البقرة: ٢٨٢ (آية الدين)

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} [البقرة: ٢٨٢].

سنة النزول:

في السنة الحادية عشر. والذي يظهر أنها نزلت مع ما قبلها جميعاً.

حال النزول:

عن سعيد بن المسيب: "أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين"[١]. **وعن ابن شهاب قال:** آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا وآية الدين[٢].

مقصد الآية:

وصية الله لعباده في ختام نزول وحيه بحفظ حقوقهم وكتابة مداياتهم، وفيها الأمر بالكتابة الذي يشير لكتابة الوحي بعد انقطاعه.

أثر النزول والمقصد في أولويات الهدى :

من خلال التأمل في نزول السورة ومقصدها يتبين لنا أن من أولويات الهدى في النزول القرآني : **حفظ الحقوق المالية بين الناس**

خلاصة مقاصد وأولويات الهدى في السور النازلة في هذه المرحلة :

أولاً: الخاص بالنبي ﷺ:

المقصد : الشهادة للنبي ﷺ بإتمام مهمته وإكمال رسالته، وإشعاره بدنو أجله.

في نهاية فترة الوحي تنزلت سور وآيات تبشر النبي ﷺ بإتمام مهمته وإكمال رسالته، وتشعره بقرب أجله، منها: سورة التوديع التي نزلت عليه ﷺ في حجة الوداع وهو قائم في عرفة، وكأنها شهادة الله بين العالمين بأن رسوله قد أدى الأمانة وأكمل الرسالة، ومنها: آية الكمال في سورة المائدة امتناناً

---

[١] تفسير الطبري (٦/ ٤١).

[٢] فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ص: ٣٦٩).

على الأمة كلها، ومنها: سورة التوبة التي يمنح الله فيها توبته لنبيه وللمؤمنين معه في قوله تعالى ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ التوبة: ١١٧

أولوية الهدى: الاقتداء بالنبي ﷺ في إتمام الأعمال وإكمال المهمات، ثم الإقبال على الله شكراً لنعمته واستعداداً للقائه.

من أولويات الهدى المستخلصة من هذه المرحلة مما يتعلق بحملة الرسالة ومبلغيها: أهمية إكمال الأعمال وإتمام المهمات وبلوغ الغايات بظهور المؤشرات، ثم الإقبال على الله شكراً على تمام نعمته، واستعداداً للقائه بالتوبة والإنابة إليه، كما تجلى ذلك في نبينا مُحَمَّد ﷺ مما صورته سورة النصر، وقد تجلى ذلك أيضًا في سير الأنبياء عليهم السلام، فهذا إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ الشعراء: ٨٣ - ٨٥، وهذا يوسف في آخر مهمته بعد تمام نعمة الله عليه يقول: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ يوسف: ١٠١

ثانياً: العام بالأمة:

المقصد: إكمال الشريعة، والدعوة لشكر نعمة الله عليها.

ظهر لنا في السور والآيات النازلة في هذه المرحلة الخاتمة العناية بإكمال التشريعات، وامتنان الله على عباده بكمال الدين وتمام النعمة كما في آية الكمال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ المائدة:٣ ، وقد نزلت على النبي ﷺ في المشهد الأعظم في حجة الوداع إعلاناً بكمال الشريعة ودعوة لالتزامها؛ ولذلك جاءت هذه

الآية في سورة المائدة التي تضمنت كمالات الشريعة، وسميت بسورة العقود، وافتتحت بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ المائدة: ١

أولوية الهدى: إظهار كمال الشريعة ومحاسنها، وبيان وجوه شكر نعمة الله عليها.

من أولى الأولويات المستخلصة في هذه المرحلة: أهمية إظهار كمال الشريعة ومحاسنها ومناسبتها لمتطلبات العصر وشمولها لاحتياجات البشر، والتأكيد على شكر نعمة الله تعالى بالتزامها واتخاذها منهجاً كاملاً للحياة ومصدراً للتشريع، والتحذير من مخالفتها أو استبدالها.

كما يتأكد من الأولويات أيضاً أهمية إبراز محاسن الإسلام وكماله من خلال الهدى القرآني تعريفاً لغير المسلمين بدين الله ودعوة لدخولهم فيه.

المطلب الرابع: المقاصد الكلية للسور المدنية وأولويات الهدى في ضوئها :

بالتأمل في الفترة المدنية والسور النازلة فيها يتبين أن من أبرز المقاصد الكلية فيها ما يلي:

أولاً : تشريع الأحكام التفصيلية والعملية للعبادات والمعاملات التي لم تكن في العهد المكي؛ مثل مشروعية الصوم، ومشروعية القتال، ووجوب الحجِّ، وتحريم الخمر، وتحريم الرِّبا، وغير ذلك. وقد تجلى ذلك في عدة سور كسورة البقرة والنساء والمائدة والأحزاب والنور .

أولوية الهدى :

في ضوء هذا المقصد يتأكد لنا أولوية العناية بهدايات القرآن في بيان الشريعة وأحكامها وحكمها التفصيلية التي تحقق تطبيق شريعة الله وتظهر كمالها وشمولها لجميع متطلبات العصر وحاجات الناس . وبناء عليه يمكن طرح عدد من المبادرات ، ومثال ذلك:

- مبادرة استخراج هدايات القرآن في العشرة الزوجية ، بهدف تعزيز العلاقات الزوجية وبيان الحقوق التفصيلية بين الزوجين .
- مبادرة هدايات القرآن في أحكام المطعومات والمأكولات ، بهدف بيان الحلال والحرام .

ثانياً : تعظيم أمر الله وشرعه ولزوم اتباع نبيه ﷺ والتحذير من مخالفة ذلك وعواقبه .

وقد تجلى ذلك في جميع السورة التي نزلت في هذه الفترة كسورة البقرة وآل عمران والأنفال .

أولويات الهدى :

في ضوء هذا المقصد العظيم يتأكد لنا أولوية الهدى في تربية النفوس على الامتثال لأوامر الله تعالى ورسوله ، وتعظيم شرع الله تعالى وتطبيقه . ومن المبادرات المقترحة في ذلك :

- مبادرة هدايات القرآن في التسليم والاستجابة لأوامر الله .
- مبادرة هدايات القرآن في تعظيم شريعة الله وتطبيقها .

ثالثاً : دعوة أهل الكِتَاب إلى الإسلام، ومجادلتُهم بالحُجَّة والبرهان في معتقداتهم الباطلة وشبههم المزيفة، وبيانُ جناياتهم على الكتب السماوية بالتحريف والتبديل، وردُّهم عن غيِّهم إلى الرشد الذي جاءهم به الإسلام ، وقد تجلى ذلك في كثير من السور كالبقرة وآل عمران والنساء والمائدة .

أولوية الهدى :

في ضوء هذا المقصد يتأكد لنا أولوية الهدى في مخاطبة اليهود والنصارى خاصة لكونهم العدو الأكثر في التاريخ ، ومن المبادرات المقترحة في ذلك :

١- مبادرة هدايات القرآن في التحذير من اليهود وخطرهم على الإسلام .

٢- مبادرة دعوة النصارى للإسلام .

رابعاً الكشف عن أحوال المنافقين الذين كانوا أشدَّ الناس خطرًا على الإسلام والمسلمين.

وقد تجلى ذلك في عدد من السور كالبقرة والأنفال والأحزاب والنور والتوبة والمنافقون .

أولوية الهدى :

في ضوء هذا المقصد يتأكد لنا أولوية الهدى في بيان حقيقة الدخلاء على الإسلام من المنافقين المندسين في المجتمع المسلم . ومن المبادرات المقترحة في ذلك :

١- مبادرة هدايات القرآن في كشف حقيقة المنافقين

٢- مبادرة هدايات القرآن في حماية نظام المجتمع من كيد المنافقين .

خامساً بيان أحكام الجهاد وتشريعاته ومقاصده. وقد تجلى ذلك في كثيرة من السور كالبقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة والأحزاب .

أولوية الهدى :

في ضوء هذا المقصد يتأكد لنا أولوية الهدى في منزلة الجهاد في الإسلام والدفاع عنه وأخذ العدة للأعداء ، ومن المبادرات المقترحة في ذلك :

- مبادرة تدارس آيات الجهاد لتعزيز القوة المعنوية في نفوس الأجيال

سادساً : بناء المجتمع المسلم، وتنظيمه بسنِّ الشرائع والحدود وبيان الحقوق بين أفراده .

وقد ظهر ذلك في كثير من السور كسورة البقرة والنساء والأحزاب والنور والمجادلة والتحريم .

أولوية الهدى :

في ضوء هذا المقصد يتأكد لنا أولوية الهدى في المبادرات التي تعنى ببناء نظام المجتمع وتنظيمه وحفظ حقوقه وحدوده ، ومن المبادرات المقترحة في ذلك :

- مبادرة تدارس السور التي تعنى ببناء الأسرة والمرأة كالنساء والأحزاب والنور .
- مبادرة مشروع هدايات القرآن في بناء الأسرة

سابعاً : بناء العلاقات الخارجية ، وذكر أحكام الدعوة والجهاد والسبي والغنائم والصلح وأحكام التعامل مع الأعداء الخائنين للعهود والمواثيق من اليهود، فقد أجلاءهم الرسول-ﷺ- من المدينة عندما نقضوا عهودهم مع الرسول-ﷺ . وقد تجلى ذلك في كثير من السور كسورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والأحزاب .

أولوية الهدى :

في ضوء هذا المقصد يتأكد لنا أولوية الهدى في المبادرات التي تبين أحكام العلاقات مع الكافرين ، ومن المبادرات المقترحة في ذلك :

- مبادرة هدايات القرآن في العلاقة مع الكافرين .
- مبادرة هدايات القرآن في السياسة الشرعية .

المبحث الثالث : موجهات الدراسة لأولويات الهدى القرآني والتأثير في ضوء أحوال النزول.

المطلب الأول: موجهات دراسة أولويات الهدى في ضوء النزول

يأتي هذا البحث خلاصة مهمة للدراسة التطبيقية التي سبقت ؛ حيث استخلصت من خلالها أهم موجهات استخلاص أولويات الهدى في ضوء أسباب النزول، وذلك من خلال ما يلي:

أولاً: أن دراسة أولويات الهدى لابد أن تراعي البناء الموضوعي الذي سلكه القرآن، من جهة كونه بدأ بالتأسيس ثم التفصيلات والتفريعات.

حين نتأمّل مراحل النزول المكي والمدني يظهر لنا أن البناء الموضوعي للمكي يختلف عن البناء الموضوعي للمدني، ويتجلى ذلك في خصائص المكي والمدني، فمثلاً: نجد أن أول ما نزل في مكة: بناء الكليات، ومنها: التعريف بالله تعالى وأصول الأخلاق، بينما نجد أن المرحلة المدنية ركزت على التكميلات والتفصيلات المبنية على الكليات.

قال الشاطبي – رحمه الله – مؤكداً هذا الترتيب المقصود في مراحل التنزيل : "اعلم أن القواعد الكلية هي الموضوعة أولًا، والذي نزل بها القرآن على النبي ﷺ بمكة، ثم تبعها أشياء بالمدينة، كملت بها تلك القواعد التي وضع أصلها بمكة، وكان أولها: الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، ثم تبعه ما هو من الأصول العامة كالصلاة وإنفاق المال وغيرِ ذلك، ونُهيَ عن كل ما هو كفر أو تابع للكفر، كالافتراءات التي افتروها من الذبح لغير الله وللشركاء الذين ادَّعوهم افتراء على الله، وسائر ما حرموه على أنفسهم، أو أوجبوه من غير أصل، مما يخدم أصل عبادة غير الله، وأُمر – مع ذلك – بمكارم الأخلاق كلها، كالعدل، والإحسان، والوفاء بالعهد، وأخذ العفو، والإعراض عن الجاهل، والدفع بالتي هي أحسن، والخوف من الله وحده، والصبر والشكر، ونحوها، ونُهي عن مساوئ الأخلاق من الفحشاء والمنكر والبغي والقول بغير علم،

والتطفيف في المكيال والميزان، والفساد في الأرض، والزنا، والقتل، والوأد، وغير ذلك مما كان سائرًا في دين الجاهلية، وإنما كانت الجزئيات المشروعات بمكة قليلة، والأصول الكلية في النزول والتشريع أكثر" [1].

وقد كان لهذا الترتيب أثره البالغ في بناء الصحابة على أساس متين ثم أكملوا دينهم ببنيان الشريعة فلغوا الكمال والسبق في الإسلام .

وفي هذا يقول الإمام الشاطبي رحمه الله : "**كان المسلمون قبل الهجرة** آخذين بمقتضى التنزيل المكي على ما أداهم إليه اجتهادهم واحتياطهم؛ فسبقوا غاية السبق حتى سموا "السابقين" بإطلاق، **ثم لما هاجروا إلى المدينة**... وكملت لهم بها شعب الإيمان ومكارم الأخلاق، وصادفوا ذلك وقد رسخت في أصولها أقدامهم فكانت المتمات أسهل عليهم؛ فصاروا بذلك نورًا حتى نزل مدحهم والثناء عليهم في مواضع من كتاب الله، ورفع رسول الله من أقدارهم، وجعلهم في الدين أئمة؛ فكانوا هم القدوة العظمى في أهل الشريعة، ولم يتركوا بعد الهجرة ما كانوا عليه، بل زادوا في الاجتهاد وأمعنوا في الانقياد لما حُدّ لهم في المكي والمدني معا. لم تزحزحهم الرخص المدنيات عن الأخذ بالعزائم المكيات، ولا صدهم عن بذل المجهود في طاعة الله ما متعوا به من الأخذ بحظوظهم وهم منها في سعة: {وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ} [الْبَقَرَةِ: ١٠٥] [2].

ومن خلال هذا الموجه تتبين لنا أولوية الهدى في بيان الأسس ثم التكميلات ، ويأتي ذلك في مبادرات الهدى المتعلقة بالتعليم والتربية ونحوها.

---

١) الموافقات (٣/ ٣٣٥).

٢) ينظر الموافقات ٥/ ٢٤١.

ثانياً: أن دراسة أولويات الهدى يجب أن يراعي استمرار التأكيد على الكليات في كل مشاريع الهدى .

حين ركزت الفترة المكية على الكليات، وجاءت المرحلة المدنية لتأكيدها مع بناء التكميلات والتفصيلات ؛ فذلك يعني أن تبنى الأولويات على التأسيس المستمر بتأكيد الكليات مع التجديد والتطوير والتفصيل المتناسب مع نوازل العصر وحاجات البشر، وتوضيحاً لذلك: فإن الكليات يجب أن يستمر التذكير بها وتأكيدها ونظمها مع كل القضايا المتجددة، وبذلك نستطيع أن نبني جيل الهدى مستمسكاً بأصوله، متطوراً باحتياجات عصره.

ثالثاً: بناء دراسة أولويات الهدى على منهج القرآن في التدرج ومراعاة أحوال الناس وعاداتهم وظروفهم.

حين نتأمل مراحل كل من المكي والمدني نجد أن القرآن بنى منهجاً حكيماً في التدرج في كثير من التشريعات العملية مراعياً أحوال الناس وعاداتهم وظروفهم؛ وهنا أُخذت قاعدة التدرج في الدعوة، ومراعاة ظروف الناس وأحوالهم.

وقد ظهر هذا في كثير من التشريعات، كالصلاة ، والصوم ، وتحريم الخمر ، وتحريم الربا ، والتدرج في الدعوة .

وقد تجلى ذلك أيضاً في التدرج في دعوة المخاطبين : فمثلاً نجد أن القرآن ابتداء بالتعريف بالله ثم بيان أدلة التوحيد ثم محاجة المشركين وإبطال شركهم وشبهاتهم .

وفي دعوة النصارى في سورة مريم بدأ بذكر سير الأنبياء والصالحين من أسلافهم ومنها: قصة امرأة عمران وزكريا ويحيى. ثم قصة مريم واصطفاء الله لها وأمرها بالقنوت له. ثم قصة ولادة عيسى بن مريم ودلالاتها على أنه عبد الله ورسوله. ثم إبطال زعم أنه ابن الله .

رابعاً : أن دراسة أولويات الهدى يجب أن تراعي البدء بالمشاريع المطلقة المرنة قبل المشاريع المقيدة المنضبطة.

حين نتأمل خصائص المكي عن المدني نجد أن الفترة المكية جاء الأمر ببعض التشريعات والآداب مما هو معروف مستحسن في الفطر والعقول كالتوحيد وأصول الأخلاق.

ونلحظ أن تلك التشريعات المكية جاءت مطلقة غير محددة أو مقدرة؛ فجاء بالأمر بصلة الرحم عموماً كما قال تعالى: { وآت ذا القربى حقه } [الإسراء:٢٦]، وجاء بالأمر بالأكل من الطيبات: { يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً } [المؤمنون:٥١]، وجاء الأمر بالزكاة دون تحديد أنصبة، وكذا في كثير من التشريعات، ثم جاء التفصيل والتحديد في المرحلة المدنية.

يقول الشاطبي مؤكداً هذا المعنى : "إن المشروعات المكية وهي الأولية كانت في غالب الأحوال مطلقة غير مفيدة وجارية على ما تقتضيه مجاري العادات عند أرباب العقول، وعلى ما تحكمه قضايا مكارم الأخلاق من التلبس من كل ما هو معروف في محاسن العادات، والتباعد عن كل ما هو منكر في محاسن العادات ..... فكان المسلمون في تلك الأحيان آخذين فيها بأقصى مجهودهم، وعاملين على مقتضاها بغاية موجودهم، وهكذا بعد ما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وبعد وفاته، وفي زمان

التابعين، إلا أن خطة الإسلام لما اتسعت ودخل الناس في دين أفواجًا ربما وقعت بينهم مشاحنات في المعاملات، ومطالبات بأقصى ما يحق لهم في مقطع الحق، أو عرضت لهم خصوصيات ضرورات تقتضي أحكامًا خاصة، أو بدت من بعضهم فلتلت في مخالفة المشروعات وارتكاب الممنوعات، فاحتاجوا عند ذلك إلى حدود تقتضيها تلك العوارض الطارئة، ومشروعات تكمل لهم تلك المقدمات، وتقييدات تفصل لهم بين الواجبات والمندوبات، والمحرمات والمكروهات ..... فتفصلت تلك المجملات المكية، وتبينت تلك المجملات، وقيدت تلك المطلقات، وخصصت بالنسخ أو غيره تلك المعلومات؛ ليكون ذلك الباقي المحكم قانونًا مطردًا، وأصلًا مستتًّا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وليكون ذلك تمامًا لتلك الكليات المقدمة، وبناء على تلك الأصول المحكمة فضلًا من الله ونعمة، فالأصول الأولى باقية لم تتبدل ولم تنسخ؛ لأنها في عامة الأمر كليات ضروريات وما لحق بها، وإنما وقع النسخ أو البيان على وجوهه عند الأمور المتنازع فيها من الجزئيات لا الكليات ..... فكملت جملة الشريعة والحمد الله بالأمرين، وتمت واسطتها بالطرفين، فقال الله تعالى عند ذلك: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } [المائدة:٣]" [١].

ومن هنا نأخذ فقهاً مهماً في أولويات الهدى، وهو: مراعاة البدء بما يوافق الفطر والطبائع السليمة والعادات الحسنة، والمشاريع المطلقة المرنة التي تبني الرغبة للخير وتقرب الناس لدين الله خاصة في دعوة غير المسلمين.

١ ينظر الموافقات ٤/ ١٩١.

ونلحظ بشكل جلي أن أواخر المرحلة المدنية ركزت على الحقوق والأحكام التي هي مظنة النزاع والتعدي كالطلاق والأموال والإرث، وهذا الخطاب يجب أن يركز فيه على المجتمعات المسلمة.

خامساً : أن دراسة أولويات الهدى يجب أن تنتظم العقيدة في كل مضامينها .

إن أحوال النزول المكي والمدني رسمت لنا منهجاً عظيماً في البناء والتربية والتوجيه من حيث أنها حين ركزت في المرحلة المكية على بناء العقيدة، فإنها جاءت في المرحلة المدنية بنظم العقيدة والإيمان بتفاصيل التشريعات وأدقها؛ إذ إن الإيمان والتوحيد هو أصل البناء، والخيط الذي به تنظم التشريعات والتكليفات، ومن هنا جاءت آية الكرسي في ثنايا الأحكام التشريعية لتكون وقوداً يضخ القلب بالتعظيم لله ولأوامره ويبعث على الامتثال والتسليم.

وأمثل هذا كثيرة: فمثلاً في حكم جلد الزاني نجد أن الله تعالى أكده بالإيمان واليوم الآخر فقال تعالى: { الزاني والزانية فاجلدوا كل واحد مهما مائة جلة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر} [النور:٢]، وفي مسائل الطلاق أيضاً نجد أن الله تعالى أوثقها بالإيمان واليوم الآخر فقال: **{ ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر }** [البقرة:٢٣٢]، كما أن كثراً من التشريعات مقرونة أو مختومة بالتذكير بالله وأسمائه وصفاته ، كما في قوله تعالى: { وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير } [البقرة:٢٣٣]، والأمثلة في ذلك مستفيضة في كتاب الله.

ومن هنا تأتي أهمية التركيز على الإيمان في جميع مبادرات الهدى لتنتظم الهدايات المستنبطة في أي مجال فتكون روحاً تحركها.

سادساً : أن دراسة أولويات الهدى ينبغي أن تراعي ربط التعليم والتربية بالتعريف بالله وعبوديته .

هذا المعيار يؤكده أول نزول للقرآن وهو سورة العلق، فقد أضاف الله الأمر بالقراءة إلى اسم الرب الخالق: { اقرأ باسم ربك الذي خلقك } [العلق:١]، ومن هنا يتأكد لنا أن أولويات الهدى في المبادرات التي تحقق هذا المبدأ العظيم بشكل رئيسي.

ومن المهم في هذا السياق ربط كل مبادرة في أي مجال ولو كانت في مصالح دنيوية أو اجتماعية أن تربط بهذا المبدأ.

سابعاً : أن دراسة أولويات الهدى ينبغي أن تجمع بين البناء والمعالجة.

حين ننظر إلى منهج النزول القرآني نرى أنه يتنزل على حالين :

الحال الأولى: ينزل بلا مناسبة معينة، وغالب هذا القسم يأتي في البناء والتأسيس، كسورة الفاتحة فلم يذكر لها سبب نزول وهي من أوائل السور المكية، وأوائل سورة البقرة وهي أول ما نزل بالمدينة، وكثير من السور المكية نزل تأسيساً لتقرير التوحيد وأصول الإيمان.

الحال الثانية: ينزل لمناسبة أو حادثة أو حالة خاصة أو عامة، وهذا غالب القرآن، فمثلاً نجد أن كثيراً من السور المكية تنزل تسلية للنبي ﷺ فيما يلاقيه من شدة وابتلاء، كالعتاق الأول والحواميم والسور التي تضمنت القصص كطه والقصص والشعراء، ونجد أن كثيراً من السور المدنية نزلت في حالات اجتماعية أو أحداث تاريخية، فسورة آل عمران نزلت في قصة نصارى نجران وغزوة أحد، وسورة الأنفال في غزوة بدر، وسورة التوبة في غزوة تبوك، وسورة الأحزاب في غزوة الأحزاب وقضايا اجتماعية، وسورة النور في حادثة الإفك.

ومما يؤكد هذا التقسيم أن الله تعالى جعل كتابه هدى وشفاء كما قال تعالى: { قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء } [فصلت:٤٤]، وقال تعالى { يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين } [يونس:٥٧].

ومن هنا يتأكد بناء أولويات الهدى على هذين الأساسين. فينبغي أن تكون مبادرات الهدى تحقق هدفين:

الهدف الأول: مشاريع الهدى التي تركز على البناء والتأسيس، كالمبادرات التي تعنى ببناء الأسرة.

الهدف الثاني: مشاريع الهدى التي تركز على معالجة القضايا والنوازل والمشكلات، كالمبادرات التي تعنى بمعالجة المشكلات النفسية.

ثامناً : أن دراسة أولويات الهدى يجب أن تراعي جوامع الكلم والعبارات المحكمة في المواد العلمية .

إذا نظرنا إلى الفترة التي نزل فيها الوحي وجدنا أنها استغرقت ثلاث وعشرين سنة، وبمقارنة بين هذه السنوات بأحداثها وأحوالها الخاصة والعامة لم ينزل فيها إلا هذا القدر من القرآن بما لا يزيد على ثلاث مائة صفحة بقياس الكتب المطبوعة، بل لو تأملنا المرحلة الأولى وهي السنوات الثلاث الأولى من العهد المكي وهي فترة الدعوة السرية نجد أنه لم ينزل فيها إلا أربع سور ليست من الطوال، وإذا تأملت الآيات الأولى التي نزلت أولاً لوجدتها خمس آيات فقط، وهذا يعطينا معياراً مهماً في مجال الهدى القرآني، وهو معيار جوامع الكلم والبناء المحكم المختصر، وقد كان كلام النبي ﷺ فصلًا يعد عداً .

بناءاً على ما سبق: يمكننا أن نركز في نشر هدى القرآن على المبادرات التي فيها تركيز واختصار ، منها مثلاً:

١- مشروع مصحف هداية، ويمكن لنا وضع ضابط للهدايات المستخلصة فيه مبنية على هذا المعيار.

٢- مشروع إخراج الموسوعة، يمكننا أن نجع معياراً للجمع بين الهدايات المكررة والجزئية وفق هذا المعيار.

تاسعاً : أن دراسة أولويات الهدى يجب أن تربط العلم بالعمل.

حين نتأمل النزول القرآني نجده أنه مطرد في المرحلتين المكية والمدنية على منهجية حكيمة جامعة بين الإيمان والعمل ، وبين العقيدة والشريعة . وبين العلم والدعوة ، وهذا البناء جعل القرآن منهج حياة للأمة، وهو المنهج الذي تربى عليه الصحابة في تلقيهم القرآن، كما قال ابن مسعود " كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزها حتى يعلم ما فيها من العلم والعمل، فتعلمنا العلم والعمل جميعاً "[1]، وهذا المنهج العظيم ظاهر في النزول القرآني بل تجد السورة الواحدة مبنية عليه.

فمثلًا: في سورة العلق جاء في أولها الأمر بالعلم: { اقرأ باسم ربك الذي خلق } [العلق:١]، وفي آخرها الأمر بالعبادة والتقرب إلى الله: { واسجد واقترب } [العلق:١٩].

وفي سورة الفاتحة جاء قسمها الأول في التعريف بالله وهو العلم، وقسمها الثاني في طلب الهداية وهو العمل، وفي سورة البقرة وهي سورة الشريعة تضمنت آيات كثيرة في الجهاد كقصة طالوت، وقول الله تعالى: { كتب عليكم القتال وهو كره لكم } [البقرة:٢١٦]، بل إنها ختمت بالدعاء بالنصر على الأعداء: { أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين } [البقرة:٢٨٦]؛ فانظر كيف بنيت وانظر كيف ختمت؟

إنه القرآن شريعة ومنهج حياة، يقرأه القارئ المتدبر فيبني لديه المعرفة ويحرك في نفسه الهمة للعطاء والعمل.

ومن هنا يتأكد في أولويات الهدى أن يكون هذا المعيار معتبراً في مبادراته.

١ يُنظر: الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص:٢٩٣).

عاشراً : أن دراسة أولويات الهدى يجب أن تنزل على الواقع بصور ونماذج واقعية.

إذا علمنا أن القرآن يتنزل لمعالجة أحداث وقضايا نازلة، فإن هذا منهج يجب أن يكون متبعاً في مبادرات الهدى القرآني، ولا تزال النوازل تتجدد في الأمة بين أحداثها وابتلاءاتها. فمثلاً يمكننا أن نطبق هذا الموجه من خلال مبادرات متعددة، ومثال ذلك:

١- استخلاص هدايات القرآن في نصرة المستضعفين.

٢- استخلاص هدايات القرآن في الأزمات العالمية، كأزمة كورونا.

المطلب الثاني : موجهات التأثير في المؤسسات في ضوء أحوال النزول:

من خلا النظر في أحوال النزول ومقاصده وأولوياته ، فإننا يمكن أن نضع بعض الموجهات المهمة للتأثير في المؤسسات القرآنية .

أولاً : العناية بتوجيه المبادرات لإعداد النخب والقيادات في المؤسسات .

حين نتأمل النزول القرآني على النبي ﷺ؛ نجد أنه ركز بشكل عجيب على العناية الربانية بالنبي ﷺ في جوانب متعددة، بل عنى بأمر الصفوة الأولى من الصحابة السابقين.

ففي جانب عناية القرآن بالنبي ﷺ نجد أن أول ثلاث سور نزلت عليه ركزت في تهيئته للدعوة، وفي غالب السور المكية تأتي العناية بالتذكير بقصص الأنبياء تعزيزاً وتثبيتاً له كما قال تعالى: { وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك } [هود:١٢٠]، وفي العهد المدني تستمر العناية الخاصة بالنبي ﷺ بأسلوب آخر، وهو تعظيم مكانته في نفوس المؤمنين كما في سورة الأحزاب التي ركزت على حماية جنابه من أذية الناس حتى الأقربين، وفي سورة النور جاءت العناية الربانية أيضاً بحماية عرضه الشريف، ثم العناية باستئذانه في الأمر الجامع: { وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه } [النور:٦٢]، وحتى في الدخول عليه كما في سورة المجادلة: { يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة } [المجادلة:١٢]، وحتى في مخاطبته كما في سورتي النور والحجرات: { لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً } [النور:٦٣]، وقوله: { لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له في بالقول } [الحجرات:٢]، فأي عناية أعظم من هذه العناية.

وفي جانب عناية الله بالصفوة الأولى التي تمثل الأسوة لمن بعدهم، وعلى رأس الصفوة أبو بكر الصديق – ﷺ –؛ فحين يتنزل القرآن بشأن الهجرة لم ينس صحبته للنبي ﷺ، وحين يتنزل القرآن بشأن الإفك وجه له خطاباً مباشراً حين أقسم – ﷺ – أن لا ينفق على مسطح بعد وقوعه في الإفك؛ فنزلت القرآن بشأنه فأثنى عليه ابتداء بالفضل فقال تعالى: { ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم } [النور:٢٢]، إن كلمة: { أولوا الفضل }، وكلمة: { ألا تحبون } تمثل العناية الربانية الخاصة بأبي بكر الصديق – ﷺ –؛ ليرتقي في سلم الفضائل والكمالات.

وحين ننظر إلى تنزل القرآن بشأن تربية الصحابة الذين كانوا مع النبي ﷺ، نجد أن القرآن عنى بهم عناية خاصة وخاصة المهاجرين منهم، فها هو يذكرهم في سورة المزمل وهي من أوائل السور نزولاً وهم يقومون الليل مع رسول الله ﷺ فيقول الله تعالى: { إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك } [المزمل:٢٠]، ويتتابع النزول المدني ببيان فضائلهم كما في قوله تعالى: { والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار } [التوب:١٠٠]، وقوله تعالى: { لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل } [الحديد:١٠]، وفي ختام سورة الفتح يثني الله على النبي ﷺ ومن معه من الصحابة في اجتماعهم وتراحمهم وقوتهم على عدوهم ثناء عجيباً يملأ قلوبهم قوة وثباتاً وعزة وشرفاً فيقول تعالى: { مُحَمَّد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم } [الفتح:٢٩]، وفي سورة التوبة وهي من أواخر السور نزولاً يتم الله نعمته وعنايته بنبيه والذين معه بتوبته عليهم فيقول تعالى: { لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة

العسرة } [التوة:١١٧]؛ أي عناية أعظم من هذه العناية الربانية حين يتنزل القرآن بشأن هؤلاء الصفوة المباركة فيربيهم ويزكيهم ويبين فضائلهم وسبقهم.

من هنا تأتي أولوية التأثير في المؤسسات في العناية بالصفوة المباركة التي تحمل هم الرسالة وتبليغها ، وتتأكد أيضاً طرح المشاريع التي تعنى بإعداد تلك النخب .

ثانياً : العناية بالبناء الرسالي مع البناء العلمي في المؤسسات .

حين ننظر لمقاصد النزول نجد أن القرآن قد عُني بالبناء الدعوي والجهادي كما عُني بالبناء الإيماني والتشريعي.

ومن هنا نجد عناية القرآن منذ أول نزوله بالبناء الرسالي المتمثل في حركة الدعوة والجهاد والبذل والعطاء والنصح، يظهر ذلك من ثاني سورة نزلت وهي سورة المدثر والأمر فيها بالقيام بالإنذار: { قم فأنذر } [المدثر:٢]، وحين نتتبع السور المكية نجد أنها تنتظم جهاد الأنبياء وحركنهم لأجل الدعوة وحرصهم على تبليغ رسالات الله، وكفى أن نقرأ الآيات التي وصفت النبي ﷺ في حاله مع أمته، ففي السور المكية وفي حرصه على دعوة قومه من الكافرين قال الله تعالى عنه: { لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين } [الشعراء:٣]، وقال تعالى: { إن تحرص على هداهم فإن الله لايهدي من يضل } [النحل:٣٧]، وقال تعالى: { وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين } [يوسف:١٠٣]، وقال تعالى: { إنك لا تهدي من أحببت } [القصص:٥٦]، وقال تعالى { ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون } [النحل:١٢٧]، وقال تعالى { فلا تذهب نفسك عليهم حسرات } [فاطر:٨]، وأما في

المرحلة المدنية فقد كان حرصه ﷺ على أصحابه أشد، فقد وصف الله تعالى حرصه وصفاً بليغاً فقال في سورة التوبة: { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم } [آية:١٢٨]؛ حقاً إن هذه الآية لتنطق بالهم الصادق والحرص الشديد الذي يحمله نبينا ﷺ لأمته، وكفى دليلاً على حرصه ﷺ على أمنه أن ادخر دعوته المستجابة لأمته في قوله ﷺ: (لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله)[1]، هل بعد هذا النصح من نصح وشفقة وحرص؟ وربي إنه أعظم الخلق نصحاً وحرصاً على أمته وصدقاً في دعوته.

وحين تتأمل حال الأنبياء تجد قلوبهم تحترق هماً وصدقاً في سبيل تبليغ رسالتهم ونصحاً لأقوامهم، وهكذا نجد الأنبياء يحملون في نفوسهم من الهم مثل ما يحملونه من العلم والتعليم، وهكذا يصنع المعلم الرسالي.

وبناء على ما سبق فإنه ينبغي أن نعتني في بناء القيادات الرسالية التي تحمل هم المشروع وتبليغه ، كما نعني بالنخب العلمية المتخصصة ، وقد جاء الثناء على الذين يبلغون رسالات الله **{ الذين يبلغون رسالة الله }** ، ويمكن ذلك من خلال عدة مبادرات:

١- بناء منهج تحفيزي للقيادات الدعوية في المؤسسات مبني على الهدايات التي ترفع الهمم وتعزز الجانب الرسالي وتدعو للعطاء والبذل والتضحية في العمل لدين الله في ضوء هدي النبي ﷺ وأصحابه في القرآن بما يحقق لنا صناعة القائد الرسالي القدوة.

---

١ أخرجه مسلم في صحيحه: (١/١٨٩) برقم: (٣٣٨).

٢- العناية بالمبادرات القرآنية التي تؤهل القيادات في هذا الجانب وتصنع فيهم هذا الهم، كمبادرة تدارس سير الأنبياء في القرآن.

ثالثاً : العناية بالمقاصد الكلية للهدى المتفق عليه بين البيئات المختلفة .

كان النزول الأول في المرحلة المكية والمدنية مراعياً لأحوال الطوائف والبيئات المختلفة ، فجاء التركيز فيه على الأصول المتفق عليه والمقاصد الكلية ، وذلك بهدف التأثير الأبلغ .

ومن هنا فإن من أولويات التأثير في المؤسسات الشريكة مراعاة القواسم المشتركة مع تلك المؤسسات في بيئتها وحاجة مجتمعاتها وطبيعتها .

رابعاً : مراعاة الظروف التي تحيط بالمؤسسات القرآنية

حين ننظر إلى المرحلة الأولى في النزول وهي المرحلة السرية كان النزول مراعيا ظروف الفئة المؤمنة الأولى ، فلم ينزل فيها مواجهة مع المشركين في إبطال شركهم ومحاجتهم في ذلك .

ومن هنا نستطيع أن نستخلص موجهاً للتأثير في المؤسسات العالمية من جهة مواعاة الظروف السياسية التي تعيشها ، وما يواجهها من تحديات . وهذا يجعلنا ندخل إلى هذه المؤسسات بطريق آمن .

كما أننا يجب أن نراعي الأحداث التي تعيشها الدول التي نرغب في توجيه رسالتها إلى المؤسسات التي تقع فيها ، من حيث مراعاة ظروف الأحداث السياسية أو الظروف المادية والاجتماعية .

خامساً : أن يعنى المركز بالمؤسسات المهتمة بغير المسلمين .

في ضوء النزول القرآني في مكة والمدينة، نجد أن الخطاب القرآني شامل لغير المسلمين، فضلاً عن تركيزه في الفترة المكينة على خطابهم، بينما جاء تركيز الخطاب المدني على المسلمين، مع استمرار خطابه لأهل الكتاب والمنافقين خاصة.

ومن هنا يتبين لنا أن من أولويات التأثير للمركز أن تكون شراكته شاملة للمؤسسات التي تهتم بغير المسلمين لدعوتهم للإسلام ، وخاصة أهل الكتاب، فضلاً عن العناية بخطاب المسلمين بشرائحهم المختلفة وبيئاتهم المتنوعة ، ويمكن تحقيق ذلك من خلال طرح مبادرات مشتركة مع تلك المؤسسات تحقق تبليغ الهدى لغير المسلمين . ومن ذلك مثلاً :

١- مبادرة الهدايات القرآنية في دعوة غير المسلمين في القرآن الكريم ، وبناء برنامج لدعوة غير المسلمين في ضوئها .

٢- مبادرة هدي الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم من الكافرين.

٣- مبادرة هدايات السور التي تركز على دعوة النصارى كسورة آل عمران ومريم

سادساً : توجيه الخطاب للزعماء والقادة

حين ندرس حال النبي ﷺ في إبلاغ ما ينزل عليه من القرآن في مكة نجد أنه يغشى مجالس كبراء قريش وساداتهم ويتلو عليهم ما أنزل عليه ، بل كان ﷺ حريصاً عليهم كما في قصة عتبة ابن ربيعة ومحاورته لدعوته للحق وقراءة سورة فصلت عليه ، وفي دعوته لعمه أبي طالب . وحرصه على زعماء قريش الذين كان يحاورهم فجاءه عبدالله ابن أم مكتوب فكره مجيئه ، فنزلت سورة عبس . ولم يعاتبه الله على الجلوس معهم ، إنما عاتبه على كراهته لمجيء ابن أم مكتوم رغبى في إسلام كبار قريش.

ويؤكده أيضاً في المرجلة المدنية رسائله ﷺ إلى الملوك . كما يؤكده قراءة جعفر ابن أبي طالب لسورة مريم أمام النجاشي ، وكان ذلك سبب إسلامه .

ومن هنا يتأكد أن يعتني المركز بإيصال رسالة الهدى القرآني إلى المؤسسات ذات التأثير العالمي والزعماء الذين يمكن الوصول إليهم خاصة في الدول التي يعيش فيها أكثرية مسلمة وحكومتها غير مسلمة .

سابعاً : العناية بالمؤسسات الاجتماعية المؤثرة في المجتمعات .

حين ننظر إلى النزول المدني نجد كثرة السور التي ركزت على الشأن الاجتماعي والروابط الاجتماعية وحماية الحقوق ورعاية الضعفاء ، ومنها سورة البقرة في أكثر من أربعين آية منها ، وسورة النساء ، وجزء من سورة المائدة ، وسورة النور والأحزاب والطلاق والتحريم .

ومن هنا تأتي أولوية التأثير بالهدى في المؤسسات ذات البعد الاجتماعي التي تعنى بالأسرة وبناء المجتمع .